Looloo
www.looloolibrary.com

نبيل فاروق

السِّحار الأَسْوَد

الكتاب الثالث

مجموعة قصصية

سبارك للنشر والتوزيع

مجنون

عجيب هو هذا الرجل ...

أعوام طويلة التقى به، فى جلسات العلاج، ومازال يحيا حالة الوهم، التى تصوَّر له أنه ليس مريضاً ...

هنا فى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية، هذا ليس بالأمر العجيب ...

الكل يتصوَّر نفسه شخصاً آخر، بخلاف هويته الحقيقية ...

فى عنبر ثلاثة، رجل يصر على أنه الرئيس ...

وفى عنبر خمسة، لدينا نابليون بونابرت ...

وهناك خالد بن الوليد ...

وصلاح الدين الأيوبى ...

وحتى سفاح (كرموز) ...

ولكن هذا الرجل بالذات يختلف ...

يختلف كثيراً ...

" كيف حالك اليوم ؟!... "...

ألقى علىّ السؤال، وهو يبتسم ابتسامة هادئة، جعلتنى أدرك أنه مازال داخل حالة التقمُّص، فأجبته فى مودة:

- فى خير حال ... وأنت ؟!

أشار بيده إشارة مبهمة، واسترخى فى مقعده:

- أنا أفضل ... استطعت تقبل وفاة زوجتى، وأتعامل مع ابنى وابنتى على نحو طبيعى.

Looloo
www.looloolibrary.com

" مسكين هو .... "..

صدمة مقتل زوجته زلزلت كيانه ...

إنه يتظاهر بالتماسك، ولكننى أعلم أنه منهار داخلياً ...

أخشى ما أخشاه أن ينهار احتماله فجأة، فيتحوَّل إلى حالة العنف ...

لو حدث هذا، سأضطر إلى نقله إلى عنبر الخطرين ...

أو إرساله إلى حيث يحصل على صدمة كهربية ...

فى بعض الأحيان يفلح هذا ...

فى بعض الأحيان فحسب ...

" القضية تم قيضها ضد مجهول ..."...

قالها، وهو مازال يحاول الاسترخاء فى مقعده ...

" هل ضايقك هذا ؟!..."...

سألته فى حذر، فلوَّح بذراعه كلها، مغمغماً:

- وماذا بيدى لأفعله ؟!

لم تعجبنى إجابته، ولا الطريقة اللامبالية، التى نطقها بها، فملت نحوه، أسأله:

- أين كنت، عندما قتلت زوجتك ؟!

صمت بضع لحظات:

- كنت أقضى السهرة مع بعض الأصدقاء.

سألته، وأنا أتفحَّص وجهه جيداً:

- وهل يمكنهم الشهادة بهذا ؟!

تطلَّع إلىَّ لحظات، ثم اعتدل فى مقعده:

- بالتأكيد.

من الواضح أنه يخفى شيئاً، ولهذا سألته:

- كيف لقت زوجتك مصرعها ؟!

عاد يتطلَّع إلىَّ لحظات، قبل أن يجيب، فى توتر ملحوظ:

- لقد أخبرتك من قبل.

تمَّسكت بالهدوء، وأنا أسأله:

- هل يضيرك أن تخبرنى مرة أخرى؟!

بدا متردداً، فقلت أستحثه:

- مع تفاصيل أكثر هذه المرة.

لم يبد مرتاحاً، وهو يفكِّر طويلاً، قبل أن يعتدل، قائلاً:

- تعلم أن سارقاً فاجأها وحدها.

قلت أستحثه:

- ثم ؟!

بدا عصبياً، وهو يجيب:

- ثم طعنها ست عشرة طعنة.

تراجعت فى مقعدى:

- كان لديه الوقت الكافى إذن ؟!

مطَّ شفتيه، وهزَّ كتفيه، وهو يجيب:

- لست أعتقد هذا.

ويبدو أن لهجتى كانت قاسية بعض الشئ، أو أنها حملت نبرة عدوانية، وأنا أقول:

- قلت إنها ست عشرة طعنة.

زفر زفرة متوترة، وهزَّ رأسه، وهو ينهض قائلاً:

- يبدو أن فكرة علاج الحوار الودى المتبادل، لم تكن مناسبة هذه المرة.

أشرت إليه بمعاودة الجلوس:

Looloo
www.looloolibrary.com

- بل أراها فكرة رائعة.

تردَّد بضع لحظات، ثم عاود الجلوس، وهو يغمغم فى عصبية:

- دعنا لا نتحدَّث عن حالة زوجتى إذن.

وافقته بإيماءة من رأسى، على الرغم من الفضول الذى يلتهمنى؛ لمعرفة صلته بمصرع زوجته ....

إنه يخفى شيئاً ...

حتماً يخفى شيئاً ...

" ماذا عنك أنت ؟!..."...

ألقى سؤاله علىَّ فى اهتمام، فهزَّزت كتفىَّ، مجيباً:

- ماذا عنى ؟!

سأل فى شبه لهفة:

- هل أنت متزوَّج ؟!

فكَّرت لحظات، قبل أن أجيب:

- لست أظن هذا.

تراجع فى مقعده، وهو يسأل دون دهشة:

- تظن ؟!

أشرت بيدى مجيباً:

- لقد فرَّت مع طفلى منذ زمن.

سألنى:

- وهل طلقتها بعد فرارها ؟!

صمت لحظة مفكراً، ثم هززت رأسى فى بطء:

- كلا .

لم ترق لى ابتسامته، وهو يقول:

- هى مازالت زوجتك إذن.

ضايقتنى العبارة، فأشحت بوجهى فى توتر:

- من الناحية النظرية ... نعم.

سألنى فى اهتمام:

- وابنك ... هل رأيته بعدها ؟!

بدأت أشعر بالضيق لأسئلته، إلا أننى أجبت، فى شئ من الغلظة:

- كلا ...

لمحت شبح ابتسامة على شفتيه، وهو يقول:

- ضايقك هذا كثيراً ... أليس كذلك ؟!

أجبت دون مواربة:

- نعم .

قلتها فى حدة واضحة، فتراجع فى مقعده، واستغرق فى التفكير بضع لحظات، قبل أن يبتسم ابتسامة زائفة، قائلاً:

- يبدو أن جلسات الأحاديث الودية هذه مجدية.

غمغمت بغير حماس:

- أعتقد هذا.

راجعت فى ذهنى ما أعرفه، عن جلسات العلاج الودية ...

المريض يجلس مع الطبيب، وكأنهما صديقان التقيا فى مقهى ...

يتحدثان ...

يتجادلان ...

أو حتى يتشاجران ...

وعلى الطبيب أن يكون يقظاً واعياً، لكل فعل أو كلمة ...

هذا لأنه يقوم بتحليل المريض، من خلال هذه الجلسات ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وعلاجه أيضاً ...

المهم أن يسأل دوماً السؤال المناسب ....

وفى الوقت المناسب ...

"هل أحببت طفولتك ؟!..."...

ألقيت عليه السؤال بغتة، فبدت عليه الدهشة لحظة، قبل أن يشرد ببصره، وكأنه يستعيد ذكرى قديمة:

- أبى كان قاسياً بعض الشئ.

سألته فى اهتمام:

- وماذا عن أمك ؟!

بدا من الواضح أن الذكريات تؤلمه هذه المرة، وهو يغمغم:

- لقد تركتنا وأنا فى الثانية.

سألته:

- ماتت.

حاول أن يبتسم ابتسامة مضطربة، وهو يهز رأسه، قبل أن يجيب، فى مرارة لم يستطع حجبها:

- طلقها أبى، وتزوَّجت من رجل آخر.

سألته، وقد تضاعف اهتمامى:

- وهل رأيتها منذ ذلك الحين ؟!

زفر فى مرارة، قبل أن يغمغم:

- مرتين فحسب.

لقد أصبت الهدف ...

إنه يكره أمه ...

هذا ما دفعه إلى قتل زوجته ...

جلسات العلاج الودية هذه مدهشة بحق ...

لقد توصلت بوساطتها إلى الحقيقة، التى عجز الكل عن كشفها.

"دعنا نتحَّدث عنك قليلاً ...."...

قالها فى توتر، وكأنه يسعى للفرار من حصار أسئلتى، فاعتدلت قائلاً:

- سل ما بدا لك.

مسح شعره بيده، وهو يسأل:

- متى عرفت أين تقيم زوجتك ؟!

ندت منى حركة عصبية مع سؤاله، وقلت فى حدة:

- وماذا يعنيك من هذا ؟!

ابتسم وهو يهزَّ كتفيه، مجيباً:

- أنت سألتنى أسئلة شخصية، وأجبت.

كان على حق، مما جعلنى أبتلع توترى، قائلاً:

- علمت منذ ستة أسابيع تقريبا.

قال فى هدوء:

- وذهبت لزيارتها ؟!

قلت فى عصبية:

- كان يجب أن أرى ابنى.

بدا أكثر هدوءاً، وهو يقول:

- ولكنها رفضت أن تريك إياه.

هتفت فى حدة:

- تلك الحقيرة ... إنه ابنى أيضاً، وليس ابنها وحدها.

تنهَّد، وقال فى حسم:

- لهذا طعنتها حتى الموت ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

اتسعت عيناى عن آخرهما.

طعنتها ؟!...

من قال هذا ؟!..

من ؟!...

" انتهت الجلسة ... أعيدوه إلى عنبره الانفرادى ..."...

قالها، ونهض لينصرف، وجاء اثنين من الممرضين الأقوياء، كما يحدث فى كل مرة ...

كم سئمت هذا وكرهته ...

إنه، وهم جميعاً يصرُّون على أننى المريض، وأنه هو الطبيب ...

ولقد تجاهلونى تماماً، وأنا أحاول أن أنبههم إلى خطأهم، بينما يجرونني جراً إلى العنبر الذى أقيم فيه ...

عنبر المجانين ...

الخطرين.

***

حلم...

هذا حلم...

حتماً إنه حلم...

ففى عالم الأحلام، تختل كل موازين الكون، وقوانين الفيزياء...

فى الحلم يمكنك أن تطير...

وأن تسير على الماء...

يمكنك أن تكون امبراطوراً...

أو حتى عبداً...

وعلى خلاف الواقع، كل شئ ممكن، فى عالم الأحلام...

وما أمر به حتماً حلم...

أنا أسير فى طريق طويل...

طويل...

طويل بلا نهاية...

الشمس فوق رأسى تشرق قوية...

ولكن الظلام يسود...

ظلام عجيب، لا يتناسب إطلاقاً، مع قرص الشمس فوق الرءوس...

وهناك آخرون...

أشعر بهم، ولكننى لا أراهم...

أسمع خطواتهم...

أرصد أنينهم...

أشعر بأنفاسهم...

Looloo
www.looloolibrary.com

يسيرون من حولى...

أمامى وخلفى...

إلى يمينى ويسارى...

وأنا وسطهم أسير...

ترى هل نتجه جميعاً لهدف واحد؟!...

وما هو؟!...

أهو حقاً حلم؟!

كل شئ من حولى يقول إنه كذلك..

ضوء الشمس، مع الظلام الدامس، لا يقترنان إلا فى حلم...

أو فى عالم آخر...

رباه!!.... أهذا ممكن؟!...

أأنا أذكر حتى كيف كانت البداية...

لقد تشاجرت مع زوجتى، وخرجت لأدخن سيجارة فى الحديقة...

لم تكن سيجارة عادية...

كانت سيجارة مخدرة...

كنت أدخنها فى سرعة وعصبية، عندما سطع ذلك الشئ...

وبعدها لا أذكر شيئاً...

كل ما أعيه، هو أننى وجدت نفسى هنا...

فى هذا العالم العجيب...

أهو أمر مما يحدث فى أفلام الخيال العلمى؟!...

هل اختطفنى شئ؟!...

مخلوقات من عالم آخر مثلاً؟!...

أهذا هو عالمهم، الذى ينقلون إليه من يختطفونهم من عالمنا؟!...

ولو افترضنا هذا، فما الذى سيفعلونه بنا جميعاً؟!

هل سيشرحون أجسادنا؛ لمعرفة تركيبنا؟!

أم سيحتفظون بنا فى أقفاص؟!..

أم فى صناديق زجاجية ....

أم أن هذ مجرّد خيال جامح مريض...

إنه حلم...

حتماً هو حلم...

لقد لاحت بقعة ضوء، فى نهاية ذلك الممر الطويل...

بقعة صغيرة، ولكنها حملت الأمل....

هناك إذن مخرج ما من هذا...

مخرج لى...

ولهم...

لكل تلك الأجساد، التى انعكس عليها شريط الضوء الضئيل، فبدأت أتبين ملامحها...

رباه!... إنها ليست بشرية...

أو ليست ذات ملامح...

مجرَّد ظلال بلا تفاصيل...

بلا وجوه...

إنهم أشبه برسم كروكى لجسد بشرى...

ماذا هم؟!..

أشباح؟!...

أرواح؟!...

جن؟!..

Looloo
www.looloolibrary.com

كائنات أخرى؟!...

ماذا هم؟!..

لم يلتفت إلىَّ أحدهم، وكلنا نسير نحو بقعة الضوء، وكأننا مغيبون...

أو مسيرون...

حاولت أن أتوقف...

أن أغيِّر اتجاهى...

أن أعود أدراجى...

حاولت...

وحاولت...

وحاولت...

ولكن جسدى لم يستجب...

كان وكأنه جسد شخص آخر...

رفعت يدى إلى وجهى؛ للتيقن من أنها يدى...

وحدَّقت فيها فى ذهول...

أشعر تماماً أننى رفعتها...

وأشعر بها أمام وجهى...

وأنظر إليها...

ولكنها ليست يدى...

إنها مثلهم...

رسم كروكى ليد!!...

ماذا أصابنى؟!..

ومتى؟!...

لا.... إنه حلم...

أو هى هلوسة...

نعم... نعم... إنها هلوسة...

تلك السيجارة، الحشوة بالمخدرات، هى السبب...

لقد دخنتها فى سرعة وعصبية...

وحتماً انقض دخانها الأزرق على عقلى، دون سابق إنذار...

واختل العقل...

ودخل فى حالة هلوسة...

نعم... نعم ... هى حالة هلوسة...

أراهن أننى الآن نائم فى فراشى، وشخيرى يزعج زوجتى كالمعتاد...

أو أننى ملقى فى الحديقة، وزوجتى الغاضبة لا تدرك هذا...

هذا هو الأرجح...

ذلك الوميض كان بداية الغيبوبة....

غيبوبة المخدر....

لا ريب فى أن تناوله فى سرعة وعصبية له تأثير ضار...

ضار جداً...

تفسير منطقى ومقنع...

ولكنه لا يفسر وضوح الرؤية، بعد أن اقتربنا كلنا من دائرة ضوء مبهر...

دائرة تبدو وكأنها تنادينا...

تنادى أعماق أعماق عقولنا...

تخاطبنا فى هدوء ناعم...

تدعونا للاقتراب أكثر...

وأكثر...

وأكثر...

Looloo
www.looloolibrary.com

وبلا دعوة، كنا كلنا نتجه إليها...

مسيّرون...

مغيبون...

أهذه هلوسة؟!...

أم هو حلم؟!...

أم...؟!

ارتجف بدنى كله، وأنا أفكّر فى الاحتمال الأخير...

احتمال الموت...

أأنا ميت؟!...

أهذا هو البرزخ، الذى يتحدثون عنه، والذى يفصل الحياة عن الموت؟!...

أهذا هو؟!...

يا إلهى!... لم أكن مستعداً لهذا...

لقد أسرفت على نفسى كثيراً فى حياتى...

والموت هو آخر ما فكرت فيه...

لو أننى ميت، فهذا يعنى أن كل من حولى ليسوا أجساداً...

بل أرواح...

وكلنا نسير نحو النهاية...

نحو الحساب...

والثواب...

والعقاب...

ارتجفت للفكرة...

وارتجفت...

وارتجفت...

الشمس فوق الرءوس...

والظلام دامس...

وبقعة الضوء تكبر وتتعاظم، وتزدادا تألقاً...

ونحن نقترب منها...

نقترب فى سرعة...

ومن حولى صاروا يلتصقون بى، ويدفعوننى نحو الضوء، وكأنهم يتعجلون الوصول إليه...

حاولت مقاومتهم، ولكن عبثاً...

دفعونى بقوة أكبر...

وأكبر...

واقتربت دائرة الضوء، حتى صرنا على حافتها...

ونظرت أسفلها...

وارتعبت...

كانت هناك حفرة هائلة من النار...

حفرة رهيبة...

مخيفة..

ملتهبة...

وصرخت حتى لا يدفعوننى نحوها...

ولكنهم دفعونى...

وسقطت...

هويت نحو حفرة النار الرهيبة، وأنا أصرخ وأصرخ...

مستحيل... إنه ... إنه...

"حلم..."..

Looloo
www.looloolibrary.com

نطقها الطبيب فى أسف، قبل أن يعتدل مكملاً:

- كابوس، هاجمه خلال نومه، وأصابه بأزمة قلبية، أودت بحياته...

بدت الزوجة ملتاعة مذعورة، وهى تسأله:

- حلم؟!... أمن الممكن أن يموت المرء بسبب حلم؟!

أومأ برأسه إيجاباً:

- نعم... فى أحلامنا نسقط، ونكاد نهلك، ولكن عقلنا الباطن يوقظنا فى اللحظة الأخيرة، قبل أن نرتطم بالأرض.

سألته منهارة:

- ولماذا لم يوقظه؟!

أجاب فى أسف، وهو يضع الغطاء على وجه الجثة:

- قلت إنك شاهدته يدخن سيجارة مخدرات فى الحديقة، قبل أن يفقد الوعى... المخدرات جعلت ردود أفعاله بطيئة، حتى أن عقله الباطن لم يوقظه فى الوقت المناسب؛ فأكمل سقطته.

غمغمت باكية فى انهيار:

- فى الحلم.

وانهمرت دموعها على وجهها غزيرة، كنهر ينساب...

فى حلم.

* * *

دبيب...

التقط نفساً عميقاً، وهو يترك جسده يسقط على مقعد قريب، ويلهث على نحو عجيب...

لقد قتلها...

قتل زوجته...

أخيراً فعلها...

لقد خطَّطَ لهذا طويلاً، منذ قررَّ أنه لم يعد يحتمل إزعاجها المستمر، وشجاراتها التى لا تنقطع...

عام كامل، وهو يخطط لهذا...

فى البداية أقنعها بالانتقال، من الحى الذى يقيمون فيه، إلى تلك المدينة الجديدة، على أطراف (القاهرة)...

وفى منزلهما الجديد، الذى اختاره فى طرف المدينة الجديدة، بدأ الحفر...

فى حديقة منزلهما الخلفية، التى تطل على منطقة مهجورة، صنع حفرة طولها مترين، وعرضها متر، وعمقها أربعة أمتار...

وعندما سألته هى عما يفعله، أقنعها بأنه ينشئ لها حوض سباحة خاص، وأوصاها ألا تخبر أحداً، حتى تصير مفاجأة للكل...

ولأنها تعشق التباهى، احتفظت بالأمر سراً...

الشئ الوحيد الذى أزعجه، خلال عملية الحفر هو النمل...

نمل كبير ضخم، يملأ التربة فى كل مكان، وكأنه يستوطن تلك المدينة الجديدة، من قبل بنائها...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولقد حاول كثيراً التخلص من النمل، ولدغاته المؤلمة...

استخدم مبيدات حشرية، وسوائل حارقة، وحتى البنزين، الذى سكبه فى الحفرة، ثم أشعل فيه النار...

وكان النمل يختفى فى كل مرة...

ثم يعاود الظهور بعد أيام قليلة...

وفى النهاية سأم القتال، وقرَّر فقط أن يكتفى بارتداء زى واق من النمل...

مهندس الزراعة بالمدينة أخبره أنه نوع من النمل الأبيض، المقاوم للمبيدات العادية، ووعده بإحضار مبيد خاص...

ولكنه لم يفعل...

وهو لم يسأله...

لم يرد جذب الانتباه للحفرة، التى ستستقر فيها زوجته إلى الأبد...

وطوال ذلك العام، شكى لكل من يعرفهم من أن زوجته لم تعد تحبه، وأنه يشك فى علاقتها بآخر...

وبعد عدة أشهر، بدأ يشكو من أنها تهدَّد بتركه، والفرار مع ذلك الآخر...

ومع تكرار القصة، صدق الناس..

وتعاطفوا معه...

وأشفقوا عليه...

وعندئذ أدرك أن ساعة التنفيذ قد حانت...

وفى تلك الليلة، وبينما كانت تعد طعام العشاء، فاجأها بكيس من النايلون على رأسها، أمسكه فى إحكام، وهو يبعد جسده عنها، متفادياً أظفارها وركلاتها، حتى همدت أنفاسها وخمدت...

كان واثقاً من أنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة، وعلى الرغم من هذا، ظل يقبض على الكيس فى قوة، حتى أيقن من استحالة بقائها على قيد الحياة...

كانت ملامحها داخل الكيس بشعة مقززة، مع لسانها المتدلى خارج فمها، وعينيها المتسعتين فى ألم ورعب...

وبيد مرتجفة، أفلت الكيس وكوَّمه، وألقاه فى سلة البقايا...

ثم جلس يلهث...

الخطوة الأساسية تمت...

قتلها...

وبقيت الخطوة الحتمية...

دفنها...

وبعد أن يدفنها فى الحفرة الخلفية، ويصب القار على جسدها، ضماناً لعدم تسرَّب روائح تحلل جثتها، سيهيل عليها التراب، ويستحم جيداً، وينتظر حتى يهدأ، ثم يجرى اتصالاته بالجميع...

أهلها...

أقاربها...

زملائها...

أصدقاءها...

سيسأل الكل عنها فى ارتياع، موحياً بأنه يبحث عنها كالمجنون...

ولا بأس من بعض النحيب...

والدموع...

والبكاء...

حتى هذا تدرَّب عليه طويلاً...

خطته محكمة، لا تقبل الفشل...

حتى الحفرة، ابتاع عدة لفات من حشائش الأرض، ليفردها فوق ساحة الحديقة الخلفية كلها، وينثر بها بعض الورود، بحيث لا يخطر ببال أحد أن

Looloo
www.looloolibrary.com

يبحث عن جثتها أسفلها...

كل شئ مخطط بدقة...

بمنتهى منتهى الدقة...

لم يترك تفصيلة واحدة، مهما بلغت دقتها...

ظلَّ جالساً فى مقعده، حتى هدأت أنفاسه، ثم قام، فأحضر كيساً ضخماً، أعده مسبقاً...

كيس قوى سميك...

ولساعة كاملة، وضع جثة زوجته فى ذلك الكيس، وأحكم إغلاقه، بعد أن وضع داخله كمية كبيرة، من كرات النفتالين، ضماناً لعدم تسرب الروائح...

وبعدها جلس يرتاح بعض الوقت، ويرتب أفكاره...

ووفقاً للخطة، خرج يفرد لفات الحشائش على أرض الحديقة الخلفية، ويوزع الورود والزهور فى الأطراف، تاركاً موضع الحفرة فقط...

لابد من أن ينهى كل شئ فى سرعة بعد دفنها...

وضع وعاء القطران تحت النار، بالقرب من الحفرة، وحمل جثة زوجته، وألقاها فى الحفرة، وألقى عليها نظرة شامتة أخيرة...

الآن لم يعد باستطاعتها أن تزعجه...

ولا أن تتشاجر معه...

صوتها المرتفع لن يصدَّع رأسه مرة أخرى...

لقد أخرسها...

وإلى الأبد...

شعر بلدغة فى ساقه، وهو يقف على طرف الحفرة، ورأى نملة كبيرة، تسير على ثنية بنطاله، فنطرها بعيداً فى ازدراء...

يالهذا النمل السخيف...

ليس هذا وقته...

على الإطلاق...

لاحظ سرباً منه يسير، عند طرف الحفرة، ووافته فكرة سادية، جعلته يعود إحضار قليل من الكحول، سكبه على سرب النمل، ثم أشعله...

وفى استمتاع، شاهد النمل يحترق...

اليوم بالذات لا شئ سينتصر عليه...

لا زوجته...

ولا النمل...

احترق النمل عن آخره فى لحظات، فالتمعت عيناه فى ظفر، وبدأ فى تسخين القار، فى ذلك الوعاء الكبير، حتى سال وصار أشبه ببحيرة سوداء مظلمة، فأمال الوعاء، على نحو تدرَّب عليه مسبقاً، وسكب القار والقطران على جثة زوجته، حتى غطاها تماماً...

وعلى طرف الحفرة، وقف يشاهد نتيجة عمله فى إعجاب...

الخطة متقنة بحق...

الجريمة الكاملة...

الجريمة التى ادعوا أنها مستحيلة...

وعلى الرغم منه، انفلتت من بين شفتيه ضحكة عالية...

ضحكة ظافرة...

واثقة...

مجلجلة...

قوية...

وعند طرف الحفرة، وبينما مازال يحمل جاروف الحفر بيسراه، لوَّح بقبضته اليمنى فى الهواء...

Looloo
www.looloolibrary.com

الآن صار حراً...

تحرَّر من زوجته...

من إزعاجها...

من شجاراتها...

من السجن الذى وضعته فيه...

الآن استعاد حريته، و...

اختل توازنه فجأة، عندما انهارت حافة الحفرة تحت قدميه...

وهوى...

حاول أن يتشبَّث بشئ...

أى شئ...

ولكن فى منتصف حديقة خالية، لا يوجد ما تتشبَّث به...

اللهم إلا وعاء القار الساخن...

وبحركة غريزية، أمسك به، ولكن حرارة الوعاء أجبرته أن يفلته...

واكتمل سقوطه...

وارتطم بالقار فى القاع...

وبتناغم عجيب، سقط جاروف الحفر على رأسه، وارتطم به فى قوة، فى نفس اللحظة التى شعر فيها بسخونة شديدة على ساقيه، و...

وفقد الوعى...

لم يدر كم بقى فاقد الوعى، ولكنها ليست فترة طويلة حتماً؛ لأن الظلام مازال يخيِّم على المنطقة، والصمت يغلفها تماماً...

إنه عارض صغير إذن...

سيخرج من الحفرة، ويواصل الخطة...

ولكن مهلاً...

إنه عاجز عن تحريك ذراعه اليمنى وساقيه...

ماذا حدث؟!...

هل أصيب بشئ ما؟!...

حاول أن يرفع رأسه، ويميل ببصره، ليدرك ماذا حدث؟!

ياللهول!...

لقد سقط فوق القار، الذى لم يجف بعد، وتشبثه بالوعاء قلبه، وسكب ما تبقى فيه من قار على ساقيه...

لقد التصق بالقار، الذى سكبه فوق جثة زوجته...

هذا الجزء لم يكن فى الخطة...

والاحتمال لم يجل بخاطره قط...

ولكن مازال هناك أمل...

ذراعه اليسرى حرة...

وكذلك الجاروف...

إنه يستطيع استخدام حافته، لتخليص ساقيه وذراعه اليمنى...

إنها مسألة وقت فحسب...

خطأ كهذا لن يفسد خطته المحكمة...

ولكن ما هذه الآلام، فى كل مكان فى جسده..

لدغات عديدة مؤلمة...

هنا فقط، اتسعت عيناه عن آخرهما، بكل رعب الدنيا...

الجزء المنهار، من حافة الحفرة، كشف خلية هائلة لذلك النمل الأبيض المملاق...

وجسده كله مغطى به...

آلاف النمل على جسده، يلدغه بلا رحمة...

Looloo
www.looloolibrary.com

بل يلتهمه التهاماً...

حاول تخليص ذراعه اليمنى، أو استخدام جاروف الحفر، لدفع النمل عن جسده...

ولكن هيهات...

أعداد النمل راحت تتزايد وتتزايد، ولدغاتهم صارت أشبه بأنياب صغيرة، تنهش فى كل جزء من جسده...

وصرخ...

صرخ مستنجداً...

صرخ... وصرخ... وصرخ...

ولكن خطته كانت محكمة تماماً...

من المستحيل أن يسمعه أحد، فى طرف المدينة الجديدة، وفى مواجهة المنطقة المهجورة...

وعلى كل جسده، شعر بدبيب النمل...

وراحت الأنياب الدقيقة تنهش جسده، وهو يواصل صراخه...

ثم، ومع مطلع الفجر، توقفت صرخاته تماماً...

ومع الظهر، كانت جمجمته البيضاء تلتمع، تحت أشعة الشمس، وأسراب هائلة من النمل تكمل تنظيف باقى هيكله العظمى...

وبمنتهى الإتقان.

* * *

ومن الحب...

"جن؟!..."...

نطقها الشيخ (حسن) فى دهشة، وهو يحدِّق فى وجه المهندس (صفوت)، الجالس أمامه فى ذلك المسجد الصغير...

"أى سؤال هذا يا ولدى؟!..."...

حملت العبارة كل دهشة الشيخ واستنكاره، فازدرد (صفوت) لعابه فى صعوبة، قبل أن يقول فى اضطراب:

- أليسوا مذكورين فى القرآن يا مولاى؟!

أومأ الشيخ برأسه إيجاباً، وهو يقول فى حذر:

- هذا صحيح يا ولدى، ولكن ليس كل ما نعجز عن تفسيره هو جن.

بدا (صفوت) أكثر توتراً، وهو يقول:

- ولكننى اختبرت هذا بنفسى يا سيدنا... اتخذت كل الاحتياطات الممكنة، وتيقنت من أن التفسير الوحيد المتبقى هو الجن.

ربَّت الشيخ (حسن) على كفه مهدئاً، وحاول أن يبتسم مطمئناً، وهو يقول:

- اهدأ يا ولدى، وقص علىَّ كل شئ من البداية.

تراجع المهندس (صفوت)، والتقط نفساً عميقاً، قبل أن يقول فى اضطراب واضح:

- كل شئ بدأ من أسبوعين فحسب... عندما كنت نائماً ذات ليلة...

"استيقظ..."..

تسلَّل الصوت الناعم الهامس إلى أذنيه، وهو مستغرق فى النوم، وبدا أشبه بلمحة من حلم جميل...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن تلك اللمسة أيقظته...

لمسة رقيقة من أنامل أنثوية صغيرة، على كف يده...

لمسة حقيقية، جعلته يفتح عينيه الناعستين فى بطء، لتطالعه تلك الابتسامة الساحرة، لأنثى لم ير فى مثل جمالها من قبل...

لوهلة، تصوَّر أنه يواصل الحلم، ثم لم يلبث أن أدرك أنه مستيقظ، فوثب جالساً على نحو عجيب، وجف حلقه، وهو يهتف:

- من أنت؟!... وكيف دخلت إلى هنا؟!

لم تجب الفتاة، ولكن ابتسامتها ازدادت سحراً وعذوبة، وهى تتطلَّع إليه فى وله:

- كم أنت وسيم.

دفع جسده إلى الخلف مبتعداً عنها، وهو يكرِّر صارخاً:

- من أنت؟!

جلست كالنسمة على طرف فراشه، وبدا صوتها وكأنه قادم من الجنة، وهى تقول:

- لا تخاف منى ولا تخشانى... لا يمكننى أن أؤذيك.

هتف بصوت مختنق:

- كيف دخلت هنا؟!... أنا أغلق الأبواب والنوافذ جيداً قبل نومى!!

تابعت، وكأنها لم تسمعه:

- لأننى أحبك.

الكلمة الاخيرة جعلته يحدِّق فيها ذاهلاً، وقلبه يخفق فى عنف...

يالها من فاتنة!!

إنها أجمل فتاة وقعت عليها عيناه، منذ وعى الدنيا...

كتلة من الجمال والرقة والحسن والسحر والعذوبة...

وعلى الرغم منه، رق صوته، وهو يغمغم:

- هل التقينا من قبل؟!.

همست فى رقة وعذوبة:

- ليس على نحو مباشر.

ثم مالت نحوه:

- ولكننى أحبك منذ زمن.

غمغم، وقد خلب سحرها لبه:

- وكيف؟!

ابتسمت هامسة:

- أراقبك منذ زمن.. أراك ولا ترانى ... أحبك وإن لم تلتق بى قط.

حاول أن يستوعب الأمر، ودار ببصره على الباب والنوافذ المغلقة، قبل أن يهز رأسه، مغمغماً:

- أنت جزء من حلمى... حلم جميل... سأستيقظ منه فى الصباح.

مالت نحوه أكثر، وانحنت تطبع قبلة دافئة على خده، هامسة:

- أنا لست حلماً... أنا حقيقة...

واستيقظ منتفضاً...

رباه!... لقد كان حلماً...

كان حلماً جميلاً...

"لا عيب فى الأحلام، ولا إثم فيها يا ولدى..."...

قالها الشيخ (حسن)، محاولاً سحب بعض توتره، فهزَّ (صفوت) رأسه نفياً فى قوة، وهو يقول:

- الأحلام لا تترك هذا يا سيدنا.

قالها فى عصبية، وهو ينزع ما بدا أنه ضمادة صغيرة، على خده الأيسر،

Looloo
www.looloolibrary.com

فاتسعت عينا الشيخ (حسن) فى دهشة!!...

كان هناك أثر واضح لشفتين أنثويتين، بلون وردى ناعم...

"استخدمت كل وسيلة ممكنة لمحوها، ولم يجد أى منها..."...

قالها (صفوت) فى يأس، فمد الشيخ (حسن) يده يتحسسها، قبل أن يغمغم:

- تبدو وكأنها محفورة على خدك.

غمغم (صفوت) فى مرارة:

- إنها كذلك ... شئ أشبه بالوشم، الذى تستحيل إزالته.

تراجع الشيخ (حسن) بكل الدهشة، وغمغم:

- لم نسمع أن جنية قد فعلت هذا.

تمتم (صفوت)، فى صوت أقرب إلى البكاء:

- لقد فعلت ما هو أكثر من هذا.

سأله الشيخ (حسن) فى لهفة:

- مثل ماذا؟!

زفر (صفوت) فى مرارة، ورفع عينيه فى شرود، وكأنما يستعيد ذكرى مؤلمة، ثم أجاب:

- فى اليوم التالى، أغلقت الباب والنوافذ بأقفال مزدوجة، وفحصت كل شبر فى حجرتى، ثم أويت إلى فراشى بعينين نصف مغمضتين، و...

"أنا هنا..."...

أتى الصوت من خلفه رقيقاً ناعماً، فانتفض جسده فى عنف، واستدار إلى مصدره...

واتسعت عيناه عن آخرهما..

كانت اليوم أكثر سحراً وجمالاً وعذوبة...

ابتسامتها عقدت لسانه فى حلقه، وهى تتقدم منه فى هدوء و نعومة:

- هل افتقدتنى؟!

ارتجف صوته مع جسده:

- ماذا أنت؟!

ابتسمت:

- مخلوق فى هذا الكون... ربما أختلف عنك فى التكوين، ولكننى مثلك... مخلوق.

تمتم مشيراً إليها:

- وهذا السحر والجمال.

اتسعت ابتسامتها الساحرة:

- كل بنى جنسى كذلك... ما يبدو جمالاً ساحراً عند بنى جنسكم، هو الهيئة الطبيعية لبنى جنسنا.

غمغم متراجعاً عنها:

- الأساطير تقول: إن حوريات البحر كن جميلات ساحرات.

هزَّت رأسها بابتسامة هادئة، فاستدرك:

- وكن متوحشات قاسيات.

تطَّلعت إليه لحظة، قبل أن تسأله فى رقة بالغة:

- وهل أبدو لك كذلك؟!

نظر إلى جمالها الساحر الفتَّان لحظات، قبل أن يهز رأسه نفياً:

- كلا.

ازداد قربها منه، فسألها متراجعاً:

- ماذا تريدين منى؟!

واصلت قربها:

Looloo
www.looloolibrary.com

- أخبرتك أننى أحبك.

كرَّر، وقد التصق ظهره بجدار الحجرة:

- نعم، ولكن ماذا تريدن منى؟!

واصلت قربها...

وواصلت...

وواصلت...

"الزواج؟!..."...

هتف الشيخ (حسن) بالكلمة فى استنكار، فنظر إليه (صفوت) فى دهشة، مغمغماً فى عصبية:

- لماذا افترضت هذا؟!

أجابه الشيخ (حسن) فى انفعال:

- هذا ما يحدث عادة؟!

ثم استدرك، فى صرامة محذرة:

- ولكن زواج الإنس بالجن حرام.

غمغم (صفوت) فى يأس:

- أعلم هذا.

ثم تابع منهاراً:

- ولكنها تزورنى كل ليلة... أكاد أجن يا مولانا.

صمت الشيخ (حسن) لحظات يتأمله، ثم مال نحوه، يسأله فى تعاطف:

- وماذا يمكننى أن أفعله من أجلك يا ولدى؟!

تشبث (صفوت) بيده، هاتفاً فى ضراعة:

- ساعدنى على صرفها يا مولانا... بارك منزلى ... اتل فيه آيات القرآن ... اقرأ بعض الأوردة... ولكن خلصنى منها.

تردَّد الشيخ (حسن):

- ولكننى لم أختبر هذه الأمور أبداً يا ولدى.

تشبث به (صفوت) أكثر:

- هى فرصة لتختبرها إذن... ساعدنى يا مولانا... أرجوك.. أكاد أجن... أرجوك.

تردَّد الشيخ طويلاً، ولكن سرعان ما غلبه فضوله، واستحثته دموع (صفوت) وضراعاته، فغمغم:

- فليكن... متى تحب أن نفعل هذا؟!

هتف (صفوت) بكل اللهفة:

- الليلة... أرجوك.

ووافق الشيخ...

وفى منتصف الليل، دخل مع (صفوت) إلى منزل هذا الأخير، وإلى حجرة نومه بالتحديد، وجلس ينتظر...

"هل ستظهر؟!"...

تساءل الشيخ فى قلق، فقال (صفوت) فى ارتياح:

- إنها تفعل دوماً.

غمغم الشيخ قلقاً:

- ربما أن وجودى...

قاطعه صوت ناعم من خلفه، يكمل:

- سيشجعنى أكثر على الحضور.

التفت بدهشة مذعورة إلى مصدر الصوت، ووقع بصره عليها...

صورة مجسمة للجمال والفتنة والسحر...

"يسعدنى أنك قد أتيت بإرادتك..."...

أسرع الشيخ يفتح حقيبته، دون أن يرفع عينيه عن وجهها، وهو يقول:

looloo
www.looloolibrary.com

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ابتسمت قائلة:

- أنا مخلوق مثلك يا رجل... ولكن لى طبيعة مختلفة.

مع آخر قولها، تبدَّلت ملامحها، من الفتنة الساحرة، إلى البشاعة الهائلة، وبرزت فى فمها أنياب طويلة حادة، جعلت الشيخ يتراجع صارخاً:

- العياذ بالله.

وانقضت هى...

وأشاح (صفوت) بوجهه فى ألم...

"كل أسبوع عليك أن تحضر لى مثله... نحن نحبكم كثيراً"...

قالتها فى شراسة مخيفة، بعد أن انتهت من التهام ضحيتها، ومسح شفتيها بلسانها الطويل، المشقوق من المنتصف، فغمغم (صفوت) فى مرارة:

- قلت: إنها مرة واحدة.

صرخت فيه:

- نسيت أن أضيف كلمة (أسبوعياً)...

ثم مالت نحوه، وألصقت خده بلسانها البشع، مستطردة فى وحشية:

- إن لم تفعل، لن يكون أمامى سوى التهامك أنت.

كاد يبكى من القهر، ولكنها اعتدلت مكملة:

- أخبرتك أننى مخلوق مثلكم، ولكن الفارق بيننا وبينكم هو أنكم... طعامنا.

وانطلقت من حلقها ضحكة وحشية قاسية رهيبة...

ضحكة مخلوق وحشى يحب...

طعم البشر.

* * *

أمل...

الكل فى حالة وحشية تماماً...

الكل يطاردنى بصرخات مجنونة مسعورة...

وأنا أعدو بكل قوتى...

وسهامهم تمرق من حولى...

الكل يريد جسدى...

وليس لقتلى...

ولكن لاتهامى...

إنه موقف لم يخطر لى، حتى فى أبشع أبشع كوابيسى...

أكلة لحوم البشر يطاردوننى...

صرخاتهم تثير الهلع فى كيانى، وتدفعنى للجرى كالمجنون، فراراً بحياتى...

وفى ذهنى ذلك المشهد الرهيب، الذى وقع عليه بصرى عندهم...

مشهد ضحية بشرية، يمزقونها حية، ويوزعون لحمها فيما بينهم، ويلتهمونه فى نهم وحشى مقزز...

كان هذا قبل أن يكشفوا وجودى...

ويستديرون بأعينهم وأنيابهم ووحشيتهم ونهمهم نحوى...

لحظة واحدة، حدَّقوا خلالها فى، قبل ان تلتمع عيونهم، وينطلقون نحوى مباشرة، وهم يطلقون صرخاتهم الوحشية...

وبكل قوتى جريت...

وجريت...

Looloo
www.looloolibrary.com

وجريت...

ولكن كل هذا انتهى عند تلك الحافة...

حافة جرف عال مرتفع، يطل على شلال قصير، ونهر كبير...

نهر يمتلئ بالتماسيح الهائلة، التى رفعت عيونها وفكوكها نحوى، على أمل أن أقفز...

لم يعد هناك أمل...

سيتم التهامى فى كل الأحوال...

إما بأنياب التماسيح...

أو بأنياب أكلة لحوم البشر...

ومن خلفى سمعت صرخاتهم تتوقف...

واستدرت أواجههم...

جيش من أكلة لحوم البشر، بوجوههم الشاحبة، وأنيابهم الطويلة القذرة، التى مازالت بقايا ضحيتهم السابقة عالقة بها...

ما من أمل...

ولابد لى أن أختار...

التماسيح...

أو أكلة لحوم البشر...

وانقض الجيش علىَّ، وهو يطلق صرخاته، و...

فجأة، وجدت نفسى فى معملى مرة أخرى...

أقف أمام آلة الزمن، التى أنهيت صنعها على التو...

وعلى بعد خطوات يقف مساعدى...

"هناك خطأ فى الحسابات..."...

للمرة الألف، سمعت العبارة نفسها...

"لو انطلقت الآلة الآن، ستدخل فى دوائر مغلقة..."...

أردت أن أقول شيئاً...

أى شئ...

ولكنه، وكما يحدث فى كل مرة، نطقها فى نفس اللحظة، التى جذبت فيها ذراع آلة الزمن...

ووجدت نفسى أنطلق ثانية...

شعرت بجسدى ينسحب، عبر ممر أضواء مختلفة، كما حدث فى المرات السابقة...

ثم سقط جسدى فجأة، وسط تلك الغابة القديمة...

فصائل النباتات من حولى، أخبرتنى أننى قد عدت آلاف السنين إلى الماضى...

حاولت ألا أتحرَّك هذه المرة، ولكننى وجدت نفسى أسير فى نفس المسار، الذى سرت فيه فى المرة السابقة...

أسير حتى تلك الأكمة من الأغصان، حيث أرى ما يحدث...

كان هناك شخص آخر، يرتدى ما يوحى بأنه قد أتى من زمنى بوسيلة ما...

وكانوا يجذبونه بلا رحمة...

كان ظهره فى مواجهتى، ولكن صرخاته الرهيبة كانت تنقل لى مدى عذابه...

ومن حوله، راح أولئك الوحوش يرقصون...

ثم أشعلوا النار تحت قدميه...

صرخاته كانت رهيبة، بمقدار عذابه...

ثم انقضوا عليه، وراحوا يمزقون قطعاً من لحمه، ويوزعونها على بعضهم

Looloo
www.looloolibrary.com

البعض، ويلتهمونها، والدماء تسيل منها على وجوههم...

أبشع مشهد شاهدته، فى حياتى كلها...

وعلى الرغم من معرفتى ما سيحدث، ضغطت ذلك الغصن الجاف بقدمى، فتحطَّم على نحو مسموع...

والتفتوا إلىَّ...

وكان ما كان...

ومرة جديدة، وجدت نفسى فى معملى...

"هناك خطأ فى الحسابات..."...

وجذبت ذراع آلة الزمن، مع عبارة مساعدى...

وبدأ العذاب مرة أخرى...

ولكن لا...

لن أستسلم لدائرة العذاب هذه...

هناك حتماً وسيلة للخروج منها...

هناك حتماً امل...

فى هذه المرة استنفرت كل إرادتى، حتى لا أكررَّ خطواتى السابقة...

لم أسر نحوهم مباشرة...

درت فى اتجاه مختلف...

نجحت فى تغيير مسار الأحداث...

ولكن مهلاً... لقد درت دورة قصيرة، ثم وجدت نفسى فى المكان ذاته، أشاهد العذاب الهائل لضحيتهم...

وأصريت ألا أرفع قدمى...

وألا أطأ ذلك الغصن الجاف...

ولكنهم، وعلى الرغم من أننى لم أفعل، انتبهوا لوجودى...

والتفتوا إلىَّ...

وعدت أجرى بكل الرعب...

وها هى ذى اللحظة الرهيبة تتكرَّر...

هم...

أو التماسيح...

"هناك خطأ فى الحسابات..."...

قالها مساعدى، فحاولت ألا أجذب ذراع آلة الزمن...

ولكننى فعلت...

وانسحب جسدى عبر نفق الأضواء الذى سئمته...

وها أنذا هناك...

فى ذلك العصر القديم...

عذاب الضحية يفوق كل تصوَّر...

تخيل نفسك تلتهم حياً، والنيران تشوى قدميك...

ولكن صرخات الضحية تبدو لى مألوفة...

وزيه كذلك...

أهو مساعدى، حاول استخدام آلة الزمن لإنقاذى، فسقط ضحية لهم؟!...

ياللمسكين!...

كنت أكثر حرصاً فى هذه المرة، تحرَّكت بخفة...

نجحت فى كسر قانون الزمن هذه المرة...

ولكن الضحية فعل شيئاً ما، جعلهم يلتفتون إلىَّ...

وعدت أجرى وهم يطاردوننى...

ووصلت إلى الخيار الرهيب...

و...

Looloo
www.looloolibrary.com

"هناك خطأ فى الحسابات..."..

عدت أجذب ذراع آلة الزمن، وقد وضعت فى ذهنى خطة هذه المرة...

المشكلة هى أننى، وفى كل مرة، أجرى نحو الحافة، حيث يقتصر الخيار على أنياب التماسيح، أو أكلة لحوم البشر...

هذه المرة، إذا شعروا بوجودى، سأستنفر أقصى إرادتى، وأجرى فى الاتجاه العكسى...

هنا سيكمن الأمل...

أى أمل...

كان المجهود رهيباً، ولكننى نجحت فى تغيير خط السير، على نحو ملحوظ...

صحيح أننى وصلت إلى نفس النقطة، حيث يعذبون ويأكلون ضحيتهم، ولكن من زاوية مختلفة تماماً...

من هناك، حاولت رؤية وجه الضحية...

ولكنه كان مغطى تماماً بالدم...

وكان بعض أكلة لحوم البشر يلعقون الدم عنه، فى استمتاع حيوانى مقزِّز...

كنت أتمنى أن أملك وسيلة لتخليصه من عذابه...

ولكن كيف؟!...

كيف؟!...

وبينما يمزقون لحمه، ويشعلون النار تحت قدميه، التفت نصف التفاتة، وصرخ وكأن هذا أمله الأخير...

- أرجوك... اقتلنى.

صرخته جعلتهم يلتفتون إلىَّ...

ثم انقضوا...

بذلت جهداً خرافياً، لاستنفار آخر قطرة من إرادتى...

واستدرت إلى الناحية العكسية...

وجريت...

لقد انتصرت...

غيَّرت المسار، وانطلقت بعيداً عن نهر التماسيح...

وبكل قوتى رحت أجرى، وهم خلفى يصرخون صرخاتهم الوحشية...

ولكن أين يمكن أن يقودنى هذا؟!...

إلى أى مصير...

كانت الغابة متشابكة الأغصان، ولكننى رحت أجرى...

وأجرى...

وأجرى...

ثم فجأة، وجدت نفسى أمام ثلاثة متوحشين، أطلق أحدهم صرخة رهيبة...

ثم هوى على رأسى بسلاح حجرى قديم...

وسقطت فاقد الوعى...

لم أدر كم فقدت الوعى، ولكننى وعندما استيقظت، كان وجهى مغطى بالدم، وكانوا يجذبوننى نحو مذبحهم...

قيدَّونى إلى المذبح، وأنا أصرخ...

وأشعلوا النار تحت قدمىَّ...

رباه!... لقد كنت أنا...

أنا الضحية التى رأيتها تواجه أبشع عذاب فى الكون...

وهذا يعنى أننى هناك أراقب ما يحدث...

Looloo
www.looloolibrary.com

لهذا بدا لى كل شئ مألوفاً...

لم يكن مساعدى الذى يعذّب هذا العذاب الرهيب...

لقد كنت أنا...

وبينما يمزقون قطعاً حية من لحم جسدى، ويأكلونها فى شراهة، صرخت:

- أرجوك... اقتلنى.

ولكن العذاب استمر...

وبلا أمل.

* * *

عين...

اليوم بدأ هادئاً، على الرغم من كل المشكلات القديمة...

زوجها لم يتشاجر معها كعادته؛ لأن الإفطار تأخّر...

ولم يسب أبيها وأمها، وهو يغادر إلى عمله...

وصاحبة المنزل لم تلح فى طلب الأجرة كالمعتاد..

وحتى شقيقة زوجها، لم تلق كلمتين سخيفتين، وهى تمر بها كعادتها..

ولهذا فقد التقطت نفساً عميقاً، بعد انصراف زوجها، وقرَّرت أن تحصل على إجازة من الأعمال المنزلية، أيا كانت النتائج...

لن تنهض لتنظيف المنزل...

أو طهى الطعام...

أو كى ثياب زوجها...

أو حتى تنظيم دولابه...

اليوم إجازة، ستقضيها نائمة، حتى ولو ثار زوجها وهاج وماج عند عودته من العمل...

لم يعد هذا يهم...

لقد اعتادته...

استلقت فى فراشها، وأسبلت جفنيها، وراحت تحلم بأنها تحيا فى عالم وهمى بلا منغصات...

عالم ليس فيه زوجها...

أو شقيقته...

أو حتى صاحبة المنزل...

Looloo
www.looloolibrary.com

لم تسرح بأفكارها طويلاً، وقد غلبها النوم العميق...

ونامت...

صرخة قوية، جعلتها تقفز من فراشها مذعورة، وتعدو نحو باب الشقة، لترى ماذا حدث؟!..

وهالها كل الهرج والمرج على سلم المبنى...

العشرات يعدون مسرعين، ويتجاوزونها بوجوه شاحبة، فى طريقهم إلى أعلى..

استوقفت أحدهم، تهتف به فى ارتياع:

- ماذا حدث؟!

أجابها فى توتر كبير:

- الست (نعيمة)... صاحبة المنزل.

ضربت صدرها براحتها، هاتفة:

- هل ماتت.

صاح وهو يتجاوزها:

- مقتولة... عثروا عليها مقتولة.

انكمشت فى فراشها ترتجف، والهرج والمرج يتزايدان على السلم...

صاحبة المنزل مقتولة؟!...

من قتلها؟!..

ولماذا؟!...

ظلت تطرح السؤال على نفسها، حتى عاد زوجها من عمله، فسألته مرتجفة:

- من قتل الست (نعيمة)؟!

زفر مجيباً:

- شخص يكرهها، وينتقم منها.

أدهشها الجواب، فتساءلت خائفة:

- ولماذا لا يكون مجرَّد سارق عادى.

لوَّح بكفه، قائلاً:

- السارق لا يفعل هذا.

سألته وقلبها يخفق:

- لا يفعل ماذا؟!

ألقى عليها نظرة ازدراء لغبائها، قبل أن يشيح بوجهه، مجيباً:

- ترك النقود كما هى، وأخذ....

لم يتم قوله، فانقبض قلبها، وهى تسأله:

- أخذ ماذا؟!

صمت لحظات، وكأنه يستصعب الأمر، قبل أن يجيب فى امتعاض واضح:

- أخذ عينها اليسرى.

تراجعت مصعوقة:

- عينها؟!

لوَّح بذراعه كلها هذه المرة، وهو يجيب:

- لم يعثروا عليها أبداً.

ارتجف جسدها كله رعباً...

اقتلع عينها؟!..

إنه شخص ينتقم حتماً...

شخص يكرهها أشد الكره...

كانت تشعر برعب شديد، خفَّ منه أن ما حدث أبعد ذهن زوجها عن تقاعسها عن أعمالها المعتادة اليوم...

Looloo
www.looloolibrary.com

لقد اكتفى ببقايا طعام أمس، وأوى إلى فراشه، وكأنه يأمل أن ينقذه النوم من التفكير فيما حدث...

أما هى، فلم تنم...

ظلت تفكّر فى العين...

العين التى اقتلعها القاتل...

ولكن، وعلى الرغم من ذعرها، لم يكد الفجر ينبلج، حتى استغرقت فى النوم...

وكان حلماً مفزعاً...

كان كابوساً رهيباً...

كابوس رأت فيه زوجها يقيِّد الست (نعيمة)، وشقيقته تخنقها...

ثم تقتلع عينها فى تشف...

وهبت من فراشها صارخة...

ولم يرحم زوجها انتفاضتها ودموعها، وإنما راح يلعنها ويسبها؛ لأنها أيقظته بصرخاتها من نومه...

روت له ما رأته فى حلمها، فانزعج فى شدة، وصفعها على وجهها، وكأنها مسئولة عن أحلامها...

وحذرها من أن تروى حلمها لأحد...

ولم تفهم...

ولكنها فى الصباح نفسه، وعندما أتت لتضع الإفطار على المائدة، وجدته يجرى حديثاً هامساً عبر الهاتف المحمول...

وعندما كان يغسل كفيه عقب الإفطار، التقطت هاتفه خلسة، وألقت نظرة على آخر اتصال...

كانت شقيقته...

ترى فيم كان يتهامس معها؟!..

هل كان يروى لها الحلم؟!...

أم يحذرها منه..

ومنها...

وإلى قلبها، تسلَّل رعب شديد...

تُرى هل كان ما رأته حلماً...

أم رؤيا؟!...

هل قتل زوجها وشقيقته صاحبة المنزل بالفعل؟!...

ولكن لو أنهما فعلاً، فلماذا اقتلعا العين؟!...

لماذا؟!..

ملأ الرعب نفسها، وشعرت أنها لن تتحمل البقاء مع زوجها فى بيت واحد بعد الآن...

ماذا لو قتلها وهى نائمة؟!...

وماذا لو اقتلع عينها...

صرخت فى أعماقها، وشعرت برأسها يدور...

ويدور...

ثم سقطت فاقدة الوعى...

وعندما استعادت وعيها، كان الهرج والمرج أكبر من ذى قبل...

وكان زوجها يصرخ ويبكى...

وتضاعف رعبها ألف مرة...

بل ألف ألف مرة...

وعندما عرفت سر حالة الهرج الجديدة، مع مقدم الشرطة والإسعاف، شعرت أن قلبها قد هوى بين قدميها، وداسته بلا وعى، فتمزَّق وتفتَّت...

Looloo
www.looloolibrary.com

إنها شقيقة زوجها هذه المرة...

وبنفس الوسيلة...

مخنوقة...

واقتلع القاتل عينها اليسرى...

اتسعت عيناها عن آخرهما فى رعب...

لماذا العين؟!...

لماذا؟!...

لم تستطع طرح السؤال على زوجها، مع تحقيقات الشرطة، التى شملت الحى كله...

حتى هى وزوجها، حققت معهما الشرطة...

زوجها كان يتظاهر بالانهيار...

وهى أخفت شكوكها فى أعماقها...

وعندما عادا معاً إلى منزلهما، لم تشر إلى الأمر، من قريب أو بعيد...

وزوجها كذلك لم يفعل..

ولكن أعصابه المتوترة جعلته أكثر شراسة وعنفاً...

كان يسبها ويلعنها، ويسب والديها، على أتفه الأسباب...

وتحقيقات الشرطة استغرقت أسبوعين كاملين...

وكل الصحف أشارت إلى ما حدث...

فكرة اقتلاع عين الضحية، شغلت الرأى العام كله...

لم يفهم أحد لماذا؟!...

خبراء الجريمة قالوا إنها دليل على الانتقام...

وخبراء علم النفس أكدوا أن القاتل يريد تذكاراً لجريمته...

وهى لم تفهم هذا أو ذاك...

كل ما فهمته هو أن حياتها مع زوجها، صارت جحيماً، أشد هولاً مما سبق...

حتى كانت تلك الليلة...

سبها ... ولعنها...

وضربها أيضاً...

وبعدها نام كالبهيمة، بعد أن عاشرها على الرغم منها...

فى تلك الليلة، عاودها الحلم نفسه...

ولكن مع تعديل بسيط...

زوجها كان يقيد شقيقته ويخنقها، والست (نعيمة) تقتلع عينيها...

وهبت من فراشها، وهى تكتم صرختها هذه المرة...

كتمتها لحظة واحدة، ثم أطلقتها مدوية بعد هذا...

فإلى جوارها كان يرقد زوجها بارداً، ونصف وجهه الأيسر مغطى بالدم...

الطب الشرعى أثبت أنه مات مخنوقاً...

وأن القاتل قد اقتلع عينه اليسرى...

والأدلة الجنائية وجدت شباك حجرة النوم مكسوراً...

ولكن ما من آثار أخرى...

أما هى فقد أصابتها صدمة نفسية رهيبة، جعلتها أشبه بالمجنونة، حتى أنه تم احتجازها لثلاثة أشهر، فى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية...

التحقيقات استغرقت شهراً كاملاً، ثم انتهت بقيد الجرائم ضد مجهول...

وعندما عادت إلى منزلها، راح الكل يواسيها، ويعاملها بشفقة وتعاطف، وهى حزينة وشاردة منكسرة...

ولكن سرعان ما شعرت فى منزلها بحالة جديدة...

بالحرية...

Looloo
www.looloolibrary.com

القاتل المجهول خلصها من كل منغصات حياتها...

صاحبة المنزل...

وزوجها...

وشقيقته ...

وفى المصحة علمت بأنه يمكن للمرء ارتكاب جريمة بشعة، دون حتى أن يدرك..

هذا لأن عقله الباطن يحرّكه عندئذ، وليس عقله الواعى...

نهضت تعد طعام الغداء لنفسها، وفتحت باب المبرّد، والتقطت من صندوق الثلج كيساً يحوى دجاجة صغيرة، وقبل أن تغلق بابه، ابتسمت وهى تنظر إلى ذلك الكيس خلفه...

كيس يحوى ثلاث عيون...

بشرية.

* * *

المسخوط...

أخبروه عنه، منذ اليوم الأوّل، الذى تسلّمَ فيه عمله، فى تلك القرية النائية، فى أقاصى الصعيد....

المسخوط...

لا أحد فى القرية كلها، يعلم من أين جاء...

ولا إلى أى مكان ينتمى...

البعض يقول: إنه يجوب البلاد، منذ استطاع السير...

والبعض الآخر يؤكّد أنه اختار هذا المكان، منذ مولده...

اختلفوا فى تاريخ ظهوره فى القرية...

وفى سبب اختياره لها...

ولكنهم اتفقوا على أمر واحد...

كراماته...

الكل يروى فى حماس، حكايات يستحيل أن يصدّقها مثله، ممن نشأوا وترعرعوا فى (القاهرة).

يروون كيف ذهب إليه الحاج (عبد الظاهر) مشلولاً، وخرج من عنده يسير على قدميه!!...

كانت حكاية تقليدية، تروى عن كل المحتالين، من هذا الطراز...

لولا أمر واحد...

فالحاج (عبد الظاهر) رجل تعرفه القرية كلها، وتعرف بأمر شلله، منذ أكثر من عشر سنوات، عندما سقط عن جرّاره الزراعى...

يستحيل إذن أن يتآمر مع المسخوط...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولا أن يدعى سيره على قدميه...

ولو صحت هذه القصة، فسيعنى هذا أنه هناك سر ما، وراء ذلك المسخوط...

ما يصفونه به وحده، يستحق التوقف طويلاً...

فالكل يصفه بأنه قصير القامة، فى حجم شاب فى بداية فترة المراهقة...

له رأس ضخم...

وأطراف نحيلة رفيعة...

ولكن أطرافه تنتهى كلها بستة أصابع فى كل طرف، وليس خمسة، مثل كل البشر!!...

وهو لا يلتقى بأكثر ممن ينعم عليهم ببركته..

وحدهم يدخل حجرته، فى كوخه الصغير، الذى بناه ملاصقاً للجبل...

وهو لا يتقاضى أجراً على الإطلاق...

لا نقود سائلة...

أو حتى منقولات...

البعض حاول أن يعطيه دجاجاً، أو دقيقاً، أو زيتاً، أو حتى كيساً من الشاى أو السكر...

ولكنه رفض تماماً...

وعلى الرغم من أنه لا يغادر كوخه الصغير أبداً، فهو لم يطلب طعاماً قط!!...

وهذا- فى رأيه- أعجب ما فى القصة...

فكل كائن حى يحتاج إلى طعام...

أى طعام!!...

روايات خرافية، تفوق حكاية الحاج (عبد الظاهر)، الذى عاد للسير على

قدميه، بعد ساعة واحدة، قضاها وحده مع المسخوط....

"هناك ما هو أعجب من هذا..."...

قالها زميله (هانى) فى حماس، فالتفت إليه، وهو ينهى عمل اليوم الممل:

- مثل ماذا؟!... هل ستخبرنى أنه أعاد البصر إلى أعمى؟!...

هزَّ رأسه نفياً فى قوة:

- بل أعاد إلى (حسين) ذراعه.

حدَّق فيه ذاهلاً، قبل أن يهتف فى حنق:

- هل تسخر منى؟!

أجاب مخلصاً:

- سل أى مخلوق فى القرية عن هذا.... (حسنين) فقد ذراعه منذ سبعة أعوام، فى محلج القرية... وذهب لزيارة المسخوط؛ لكى يجد له عملاً أفضل، وفوجئ به الكل يخرج من عنده بذراعين.

تساءل فى حذر:

- هل منحه ذراعاً صناعية؟!

هزَّ رأسه على نحو أقوى:

- بل نبت له ذراع جديدة.

شمله ذهول تام، وهو يحدَّق فى زميله...

هذا مستحيل!!...

ذراع مقطوعة، لا يمكن أن تنبت مرة ثانية...

حتى الأبحاث الطبية الحديثة، التى تتصوَّر إمكانية هذا، عبر استخدام الخلايا الجذعية، مع تعاملات تكنولوجية خاصة، يستحيل أن تقول: إن هذا يمكن أن يحدث فى ساعة واحدة...

"أريد رؤية ذلك المسخوط...."..

Looloo
www.looloolibrary.com

قالها فى حماس، فالتفت إليه (هانى):

- لأى سبب؟!... إنه يرفض اعتباره طفرة شاذة، يذهب الكل لرؤيتها فحسب.

قال فى اهتمام:

- أريده أن ينقلنى إلى (القاهرة).

صمت (هانى) لحظات، ثم هزَّ كتفيه، قائلاً:

- بالنسبة إليه، هذا سبب تافه.

قال فى إصرار:

- ولكنه سبب.

واصل (هانى) صمته بضع لحظات أخرى، قبل أن يقول:

- فليكن... سأبلغ (علوان).

تساءل فى قلق:

- من (علوان) هذا؟!

أجابه بابتسامة باهتة:

- تستطيع أن تقول إنه مدير أعماله...

تصور أن (هانى) سيكتفى بهذا القول، إلا أنه استدرك فى سرعة:

- على الرغم من أنه لم يلتق به سوى مرة واحدة.

غمغم فى دهشة:

- ولماذا هو إذن؟!

حاول (هانى) أن يبتسم، وهو يجيب:

- إنه أوَّل من داواه... كان أحد قطاع الطرق قد سرقه، وقطع لسانه منذ طفولته.

هتف مرتجفاً من الدهشة:

- لا تقل لى: إن المسخوط أنبت له لساناً.

أومأ برأسه إيجاباً:

- هذا ما حدث.

وتضاعف فضوله، مع لهفته لمقابلة ذلك المسخوط...

ألف مرة...

وعندما أخبره (هانى) أن (علوان) سيأخذه للمسخوط غداً، شعر بجسده كله يرتجف...

إذن فهو سيلتقى به...

والأهم أن المسخوط وافق أن يلتقى به...

سهر لوقت طويل، ينزل برامجاً جديدة على هاتفة؛ لتسجيل ذلك اللقاء، دون أن يشعر المسخوط بهذا...

إنه يريد وثيقة عما سيحدث...

لا يدرى لماذا...

ولكنه يريد هذا...

وفى الصباح، طرق (علوان) باب استراحة البنك، فأسرع يفتحه، وهو يسأله:

- الآن؟!

أجابه (علوان) فى برود:

- نعم... الآن.

سار مع (علوان) لمسافة طويلة...

طويلة جداً...

أكثر من ساعة كاملة، يسيران وسط حقول القصب، حتى خرجا إلى ساحة واسعة، عند سفح الجبل مباشرة، وفى نهايتها ذلك الكوخ الصغير، الملاصق

Looloo
www.looloolibrary.com

للجبل تماماً...

"انتظر..."...

قالها (علوان) بنفس البرود، قبل أن يدخل إلى الكوخ، دون أن يطرق بابه...

وبقى هو وحده ينتظر، ويتأمَّل المكان من حوله فى توتر...

ياله من مكان مقفر مخيف!!...

ترى لماذا اختاره المسخوط لسكناه؟!..

لماذا؟!..

"هيا..."..

قالها (علوان) بنفس البرود، وهو يفتح له باب الكوخ، فدق قلبه فى قوة، وازدرد لعابه فى صعوبة، وزفر فى حرارة...

ودخل....

أغلق (علوان) الباب خلفه فور دخوله، فارتجف جسده، مع الظلام الدامس، الذى أحاط به...

"أين أنت؟!..."...

هتف بها فى عصبية، وهو يتلفَّت حوله، محاولاً اختراق حجب الظلام ببصره، قبل أن يأتيه صوت حاد رفيع صارم:

- أنا هنا.

استدار فى سرعة إلى مصدر الصوت، فى نفس اللحظة، التى غمر فيها ضوء أخضر عجيب الكوخ كله...

وانتفض جسده فى قوة...

فعلى ذلك الضوء، رآه يجلس أمامه...

المسخوط...

تماماً كما وصفوه...

جسد ضئيل...

رأس ضخم...

وأطراف غاية فى النحول...

والأهم... العينان...

عينان واسعتان كبيرتان، يبدوان وكأنهما يخترقان كيانك كله...

"لماذا أتيت؟!..."...

ألقى المسخوط سؤاله، بصوته الحاد الرفيع، فازدرد هو لعابه فى صعوبة، وهو يجيب:

- أريد الانتقال إلى (القاهرة).

صمت المسخوط لحظات، قبل أن يجيب:

- أو أى مكان آخر.

غمغم متوتراً:

- المهم ألا أبقى هنا.

قال المسخوط فى حسم فى حسم وثقة:

- أضمن لك هذا.

هل يعنى حقاً ما يقول؟!...

هل يمكنه أن يضمن له الذهاب من هنا؟!..

هل؟!...

مدَّ المسخوط كفه الصغير، وفرده أمامه، فظهرت فى وسطه كرة من الكريستال الأحمر، وقال بصوته الحاد الرفيع:

- استنشق هذه.

تردَّد لحظة، وهو يتساءل: ما معنى هذا؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

لماذا يريد منه أن يستنشق كرة من الكريستال الأحمر؟!...

راودته فكرة الرفض لحظة، ثم نبذها فى سرعة...

مع كل العجائب التى يروونها عنه، ماذا يضير لو نفذ مطلبه؟!...

لن يخسر شيئاً، فى كل الأحوال...

انحنى فى حذر، واستنشق تلك الكرة الكريستالية الحمراء، وبدت له رائحتها قوية نفَّاذة، و...

وفجأة... استيقظ...

وبكل ذهول الدنيا، حدَّق فى ذلك الواقف أمامه...

لم يكن المسخوط...

ولا حتى (علوان)...

بل كان هو...

كائن بشرى، هو نسخة طبق الأصل منه، يرتدى ملابسه، التى انتبه إلى أنه قد تجرَّد منها...

"ماذا فعلت بى؟!... من أنت؟!..."

التفت إلى شبيهى، وهو يقول بابتسامة غير مريحة:

- أنا أنت... عينة صغيرة من حمضك النووى، مع تكنولوجيتنا، التى تسبق عالمكم بمائة عام على الأقل، حوَّلتنى إلى نسخة طبق الأصل منك..

قال ذاهلاً ومرتجفاً:

- تكنولوجيتكم؟!... عالمنا؟!... ماذا تعنى؟!

سمع صوت المسخوط من خلفه:

- نعنى أنكم كائنات قوية، ولكنكم أقل تطوراً منا... ولدينا من التكنولوجيا ما يتيح لنا استنساخكم فى أجسادنا.

حاول أن يلتفت إليه، وهو يقول فى رعب:

- أهذا ما فعلته، مع كل من جاء إليك؟!

أجاب المسخوط:

- استنسختهم؟!... نعم... ونسخهم كانت تحمل جينات مولدهم، وليس ما أصابهم... فالذى فقد ذراعه، جاءت نسخته مكتملة بذراعين، والذى أصابه الشلل، جاءت نسخته صحيحة معافية... وحتى من فقد لسانه، جاءت نسخته ناطقة... الصفات الموروثة فقط تستنسخ، والصفات أو العاهات المكتسبة لا تفعل.

قال مرتجفاً، وهو يشعر بالألم، مع قيود معصميه وقدميه:

- ولكن لماذا؟!... وماذا تفعلون بالأشخاص الأساسية.

لم يجب المسخوط هذه المرة، وإنما أجاب المستنسخ فى هدوء:

- أجسادنا ضعيفة، وأجسادكم قوية... وربما لهذا يفوق حجم رءوسنا رءوسكم... وكنوز كوكبنا تحتاج إلى أيد عاملة قوية لاستخراجها، ووجدنا ضالتنا فيكم.

هتف فى يأس:

- سخرة؟!... هل قطعتم ملايين السنوات الضوئية؛ للبحث عن عمال سخرة.

أجابه المسخوط من خلفه:

- ليس للسخرة فحسب.

مرة أخرى حاول أن يلتفت إليه، ولكنه عجز عن هذا، وسمعه يكمل:

- ألم تسأل نفسك: من أين أحصل على غذائى هنا؟!

ثم برز رأسه امام وجهه فجأة، وهو يفتح فمه، فتظهر أنيابه الشبيهه بأنياب سمك القرش، مع استطرادته:

- إننا نستسيغ طعمكم أيضاً.

Looloo
www.looloolibrary.com

صرخ بكل الرعب...

صرخ...

وصرخ...

وصرخ..

ولكن المسخوط وضع تلك الكرة الكريستالية أمام وجهه مرة أخرى...

حاول أن يكتم أنفاسه، ولكنه لم يحتمل هذا طوياً...

واستنشقها...

وبينما يغيب عن الوعى، أدرك أنه ربما لا يستيقظ أبداً...

وربما يصبح بعد قليل وجبة شهية...

بين أنياب... المسخوط.

* * *

بيت العيلة...

سعل (حسنى) مرتين، وهو يدخل بيت العائلة، الريفى القديم لأوّل مرة، منذ أكثر من عشر سنوات...

بيت كبير، أثاثه قديم، وجدرانه مطلية بالجير، ومازالت تحمل صور القدامى...

أجداده، وأجداد أبيه وأعمامه...

وطأ التراب الكثيف فى حذر، فهتف (عويس) الخفير من خلفه:

- الدار لم يدخلها أحد منذ سنوات يا باشا.

سأله (حسنى) فى صرامة:

- ولماذا لم يقم أحد بتنظيفه؟!

تردَّد (عويس) قليلاً، قبل أن يجيب فى حذر:

- لم يطلب أحداً تنظيفه يا باشا.

قال (حسنى) فى حنق:

- أيستلزم أن يطلب أحداً؟!... أنت خفير المزرعة منذ عقود، ومعك مفاتيح الدار، فلماذا لم تقم بتنظيف المكان، على نحو دورى؟!

تردَّد (عويس) مرة أخرى:

- وكيف يا باشا؟!... لقد طعنت فى السن، و...

قاطعه (حسنى) فى حدة:

- لم أطلب منك تنظيفه بنفسك.

هتف (عويس):

- ومن سيرضى بدخول المكان يا باشا؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تراجع فى سرعة، مستدركاً:

- أعنى أن... أن...

لم يجد جواباً، فهتف به (حسنى) فى صرامة:

- أن ماذا؟!...

تلفَّت (عويس) حوله، وهو يهمس بصوت نافس جسده ارتجافاً:

- الدار مسكونة يا باشا.

حدَّق فيه (حسنى) مستنكراً:

- ماذا تقول أيها المأفون؟!

أجابه (عويس) مرتجفاً:

- أقول ما يعرفه الكل هنا يا باشا... الدار مسكونة... عشرات شاهدوا جنية تسير داخله، حاملة شمعة كبيرة... الولد (بيومى) تطلّع إليها، فالتفتت إليه بعينين تشعان ناراً، فأصابه الجنون، وها هو ذا يسير كالمجذوب، فى طرقات القرية.

هزَّ (حسنى) رأسه مشفقاً:

- يالكم من سذج بلهاء؛ حتى تصدقوا قصصاً كهذه!

هتف (عويس):

- سل الكل يا باشا.

لاحظ (حسنى)، فى هذه اللحظة فقط، أن (عويس) لم يدخل الدار... كان يقف فى شرفته الخارجية فحسب...

"أدخل يا رجل، وانسى هذه الخزعبلات"...

هتف بها (حسنى) فى غضب، ولكن (عويس) ارتجف أكثر، وهو يقول:

- لا تؤاخذنى يا باشا، ولكننى لا أستطيع.

ردَّد (حسنى) مستنكراً:

- لا تستطيع؟!

تابع (عويس)، وكأنه لم يسمعه، وجسده كله يرتجف:

- ولو أننى أملك لك نصحاً: لنصحتك بأن تعود إلى (القاهرة)، ولا تدخل الدار.

شعر (حسنى) بغضب شديد فى أعماقه، وهو يقول فى حدة:

- ماذا تقول أيها المأفون؟!... اتحاول منعى من دخول بيت العائلة.

تراجع (عويس) مصدوماً:

- أنا؟!... حاشى لله يا سيدى وابن سيدى... إنما قلتها لأننى أعتبرك بمثابة ابن لى.

قال (حسنى) فى عناد:

- وأنا سأبيت الليلة فى بيت العائلة، وأريدك أن تجد من يقوم بتنظيفه.

امتقع وجه (عويس)، وهو يقول:

- مستحيل يا باشا!!... المغرب على الأبواب، والناس هنا تخشى المرور بالدار فى ضوء النهار، فما بالك بالليل.

ثم مال نحوه، وبدا صوته أقرب إلى البكاء وهو يضيف:

- أرجوك يا باشا... لا تقضى ليلتك هنا.

تملَّك العناد (حسنى)، فقال فى إصرار:

- بل سأقضى ليلتى هنا... حتى لو كان البيت مسكوناً بألف شبح وعفريت.

بدا (عويس) وكأنه على وشك البكاء، وهو يقول:

- رعاك الله وحماك يا باشا... رعاك الله وحماك.

ثم استدار، وابتعد مهرولاً، تاركاً (حسنى) وحده، يتساءل: ماذا فعل بنفسه...

لقد غلبه عناده، ودفعه إلى الإصرار على أمر، ليس بمقدوره احتماله...

Looloo
www.looloolibrary.com

ليس لأنه يخشى الأشباح...

أو حتى يؤمن بها...

ولكن لأن البيت مغمور بالتراب، ولا توجد به كهرباء...

ستكون ليلة طويلة...

طويلة جداً...

بحث فى المكان عن شئ يشعله، حتى عثر على مصباح جاز قديم، كان من حسن حظه ممتلئاً، فقرَّر إشعاله، مع مغيب الشمس...

وفى صعوبة، استطاع تنظيف فراش جده لنومه...

ومع مغيب الشمس، كان مرهقاً بحق، فأشعل مصباح الجاز على مائدة صغيرة فى الحجرة، واستلقى على الفراش، وسرعان ما راح فى سبات عميق...

ثم استيقظ فجأة...

استيقظ على وقع أقدام تسير، فى الصالة الخارجية...

فتح عينيه، واعتدل على طرف الفراش فى حركة سريعة، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة...

فهناك، عند حافة باب الحجرة السفلى، كان هناك ضوء يتسرَّب...

ويتحرَّك...

ضوء شمعة...

استعاد ما سمعه من (عويس)، فسرت فى جسده ارتجافة، وشعر بالبرد يتسلَّل إلى أطرافه...

ثم انتفض جسده كله فى عنف...

فعبر الحافة السفلى للباب، رأى ظلاً يقطع الضوء لحظة، ثم يبتعد معه ويختفى...

أهذا معقول؟!...

أيمكن أن تكون هذه هى الجنية، التى روى له (عويس) قصتها؟!...

لا... مستحيل!...

إنه لا يؤمن بتلك الخرافات...

هناك حتماً تفسير ما...

تفسير منطقى...

أو علمى...

أو ربما هو يحلم...

ربما هو كابوس ما...

قرص نفسه فى قوة، فشعر بالألم فى وضوح...

لا... ليس كابوساً...

إنه مستيقظ بحق...

"(حسنى)..."...

انتفض جسده مرة أخرى، عندما سمع ذلك الصوت الأنثوى الناعم يناديه، على نحو أشبه بالهمس...

الصوت ناداه باسمه ممطوطاً ومسحوباً، وكأنما يأتى من أعماق سحيقة غائرة...

"من هناك؟!..."...

هتف بها فى صوت، أراده قوياً صارماً، ولكنه، وعلى الرغم منه، خرج من بين شفتيه مرتجفاً خائفاً...

ومرة أخرى، رأى ضوء الشمعة يقترب، ويتسلَّل من فتحة الباب السفلى...

وسمع اسمه يتردَّد على نحو أكثر وضوحاً...

وأكثر عمقاً...

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم مر ذلك الظل...

وكاد قلبه يتوقّف، كما توقّف الظل أمام الباب...

ومرة ثالثة، تردَّد اسمه...

وفى هذه المرة، لم ينطق حرفاً واحداً...

فقد كان يرتجف...

ويرتجف...

ويرتجف...

مستحيل!!...

لا يوجد شئ اسمه عفاريت أو أشباح...

ولكن هناك شئ يقف عند باب الحجرة...

ظل يتحرَّك فى خفة، مع ضوء شمعة، وينادى اسمه...

لماذا؟!...

لماذا اسمه؟!..

هل يدرك ذلك الشبح أنه تحداه؟!...

هل جاء ليخيفه فقط؟!...

أم لينتقم؟!...

"(حسنى)..."...

تردَّد الصوت فى عمق كبير، وعلى نحو ممطوط للغاية، فارتجف جسده كله فى رعب...

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما، وكاد قلبه ينخلع من صدره...

فذلك الشئ فى الخارج، يحاول فتح الباب...

الأمر يتجاوز مرحلة التخويف إذن...

ولا فائدة من إنكار الأمر...

لابد له وأن ينجو بحياته، ثم يدرس الأمر فيما بعد...

ومن حسن الحظ أنه يقيم فى حجرة من حجرات الطابق الأرضى، لها نافذة على الساحة الخارجية...

تردَّد اسمه مرة جديدة، جعلته يرتجف أكثر، وهو يسير على أطراف أصابعه نحو النافذة...

التقط مفاتيح سيارته من جيب سترته فى حذر، قبل أن يفتح النافذة، محاذراً أن يصدر صوتاً عالياً...

ومن خلفه، تحرَّك رتاج الباب أكثر...

وبكل سرعته فتح النافذة...

ووثب...

ولم يكد يهبط على قدميه، حتى أطلق لساقيه الرياح، وراح يعدو بكل قوته نحو سيارته...

ومن خلفه سمع ذلك الصوت يناديه، ولكنه قفز فى سيارته...

وانطلق يبتعد كالصاروخ...

"لن يعود أبداً يا باشا..."..

قالها (عويس) فى ثقة ظافرة، فابتسم (عبد الجواد)، ذلك الثرى البدين، وهو يقول:

- أنا واثق من هذا.

بدا (عويس) مبهوراً، وهو يقول:

- الشائعات التى طلبت سعادتك منى نشرها بالبلد، و(بيومى) الذى حصل على مبلغ ضخم؛ ليلعب دور المخبول، وتلك الحيل التى قمت بها فى الدار... كيف فعلت كل هذا يا باشا؟!

اتسعت ابتسامة (عبد الجواد):

Looloo
www.looloolibrary.com

- المال والتكنولوجيا يفعلان المستحيل يا (عويس).

غمغم (عويس):

- ولكننى لست أدرى لماذا تسعى لشراء دار فى مكان منعزل، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منها يا باشا!!..

التقط (عبد الجواد) نفساً عميقاً، وقال:

- هذا نعم المراد يا (عويس)... ولكن من الصعب عليك أن تفهم.

اغتصب (عويس) ضحكة، وهو يقول:

- (حسنى) باشا يروى للكل حكاية الجنية، التى تتجوَّل ف الدار بشمعتها، والتى حاولت قتله... كيف فعلتها يا باشا؟!

حدَّق فيه (عبد الجواد) بكل دهشته:

- جنية وشمعة؟!... لم أفعل شيئاً من هذا!... من أين أتى (حسنى) بهذه الرواية؟!

اتسعت عينا (عويس) عن آخرهما...

"عبد الجوااااااد"...

انعقد حاجبا (عبد الجواد) فى شدة، مع سماعه اسمه يتردّد ممطوطاً، بصوت أنثوى ناعم عميق،وحدَّق فى ذلك الظل، على جدار صالة بيت العائلة..

ظل امرأة تسير وكأنها تسبح فى الهواء...

على ضوء شمعة.

* * *

قلب حبيبى ...

"غداً عيد الحب ..."...

قالها (عماد) حبيبى فى رومانسية شديدة، قبل أن يتحسَّس شعرى فى رقة، مستطرداً فى حنان:

- ماذا تريدين كهدية لعيد الحب ؟!

أسندت رأسى على صدره، واستمعت فى استمتاع إلى دقات قلبه، قبل أن أهمس:

- أريد شيئاً واحداً.

سألنى بكل الحب :

- مرينى يا حبيبتى.

اعتدلت، وأشرت إلى صدره، مجيبة:

- أريد قلبك.

ضمنى إليه فى حب، وهمس فى أذنى:

- هو لك منذ البداية يا عشق روحى.

مرة أخرى أسندت رأسى إلى صدره؛ لأستمع إلى أحب الأصوات إلى نفسى ...

دقات قلبه ...

قلب حبيبى ...

عدت إلى منزلى فى ذلك اليوم، وأنا أستعيد كلماته فى سعادة ...

وأستعيد نبضات قلبه ...

غداً هو يوم سعدى بالتأكيد ...

Looloo
www.looloolibrary.com

غداً عيد الحب ...

وغداً سأخبره بكل شئ ...

كل شئ، بلا استثناء ...

رقدت فى فراشى مبتهجة، أستعيد كل ذكريات عمرى ...

(عماد) ليس أوَّل حبيب لى ...

ولكنهم أفضلهم ...

أوَّل حبيب لى كان فارساً بحق ...

شجاع ...

قوى ...

جرئ ...

ومقدام ...

أحببته بشدة، وقضيت كل وقتى معه ...

وكانت أمتع لحظات حياتى هى عندما أسند رأسى إلى صدره ...

وأسمع دقات قلبه ...

قلب حبيبى ...

ثم بعده كان حبيب ثان ...

وثالث ...

ورابع ...

أكثر أحبائى حظاً، لم يمضى معى أكثر من عام ...

ولكن غداً تكمل علاقتى بـ(عماد) عام ونصف ...

ألم أقل لكم أنه أفضلهم ...

استلقيت فى فراشى طويلاً، ولكن النوم أبى أن يزور عينىَّ ...

كنت أفكِّر طوال الوقت ...

وانتظر الغد فى لهفة ...

والدقائق تمر بطيئة ...

والساعات لا تمضى أبداً ...

ولهذا نهضت من فراشى، وفتحت دولابى، وأخرجت كل ثيابى، وألقيتها على الفراش: لأنتقى منها ثوباً يناسب الغد ...

ولكنه لم يعد الغد ...

لقد أوشك الفجر أن ينبلج ...

ولكننى حتى لا أشعر برغبة فى النوم ...

فرزت ثيابى ثوباً بعد الآخر، وارتديت بعضها، وتأمَّلت نفسى فيه، أمام تلك المرآة الطويلة فى حجرة نومى ...

وأخيراً، ومع أوَّل ضوء للشروق، استقر أمرى على ثوب أحمر، يناسب عيد الحب ...

ويناسب قلب حبيبى ...

شعرت بالارتياح، عندما حسمت أمرى أخيراً، فخرجت إلى الشرفة، أستنشق هواء الصباح النقى، الذى نادراً ما يستنشقه المرء فى المدن ...

امتلأت نفسى بالانتعاش، على الرغم من أننى لم أذق طعم النوم، وشملنى حماس شديد، فاتجهت إلى تلك الحجرة الحمراء الخاصة فى منزلى، وفتحت دولاب تذكاراتى، ووقفت أتأمَّل ما فيه فى استمتاع ...

كل حبيب ارتبطت به، حصلت منه على تذكار ...

وأنا أعشق التذكارات ...

أعشقها كتذكارات ...

وكفكرة ..

ترى هل يشاركنى (عماد) هذا الشعور ؟!...

Looloo
www.looloolibrary.com

لم أدر لماذا انتبهت، فى هذه اللحظة فقط، انتبهت إلى أننى لا أعرف الكثير عن (عماد) ...

عام ونصف، ولم أعرف عنه إلا أقل القليل ...

الحديث دوماً يدور عنى ...

من النادر أن نتحدَّث عنه ...

وهو لا يتحدَّث عن نفسه أبداً ...

ولا عن عمله ...

كل ما أخبرنى به، هو أن عمله يتعلقَّ بنوع من الأبحاث العلمية ...

أبحاث الجينات حسبما أذكر ...

ولكنه لم يشرح أبداً ما يعنيه هذا ...

وحسبما قرأت، فتلك الأبحاث تتعلقَّ بتطوير البشر، عبر إحداث تغييرات نوعية، فى جيناتهم الأساسية ...

وبالنسبة لى، هذا أمر بشع ...

لماذا يسعى الإنسان لتغيير نفسه ؟!..

لماذا لا يقبل بذاته كما هى ؟!...

حتى لو أنه يعانى من نقائص ...

أو عيوب ...

أو مشكلات عويصة ...

فهكذا هو ...

فلماذا ؟!...

لم أكن أميل كثيراً إلى التعامل مع شبكة الإنترنت، التى صارت أساساً من أسس الحياة، فى هذا الزمن، إلا أننى قمت بالدخول إليها، فى محاولة لفهم طبيعة عمل حبيبى ...

ولدهشتى، كانت شبكة الإنترنت تحوى ملايين المعلومات عن الأبحاث الجينية، على مستويات عديدة ...

ولم أدر من أين أبدأ !!...

ثم خطرت ببالى الفكرة ...

فكرة ربط البحث عن الأبحاث باسم حبيبى ...

باسم (عماد) ...

ولقد فعلت ...

وبسرعة، وجدت بحثاً قام هو بنشره، منذ أقل من عام ...

بحث لم يخبرنى به قط ...

كان بحثاً علمياً، حول إمكانية تفادى عمليات زرع واستبدال الكلى والكبد والقلب، بالعلاج الجينى المباشر ...

والواقع أنه كان بحثاً شيقاً للغاية ...

ممتاز هو (عماد) هذا ...

استعدت صوت دقات قلبه، قبل أن أتخذ قرارى ...

وعلى الفور، نهضت أتصل به، وما أن سمعت صوته نصف النائم، على الطرف الآخر للخط، حتى همست فى نعومة :

- صباح الحب يا حبيبى .

شعرت به وكأنه قد وثب من فراشه، من فرط السعادة، وهو يهتف:

- صباح أجمل حب يا حبيبتى ... حبك.

كدت أسمع صوت دقات قلبه عبر الهاتف، وأنا أقول فى رقة:

- ما رأيك لو نحتفل بعيد الحب فى منزلى هذا العام ؟!

صمت لحظة، تخيَّلت معها أنه يلهث من فرط المفاجأة والانفعال، قبل أن يقول:

Looloo
www.looloolibrary.com

- أتسألينى عن رأيى ؟!... إنه حلم عمرى.

قلت بنفس الرقة والنعومة:

- سأعد كل شئ ... وسأنتظرك فى الثامنة.

هتف فى حب وحماس:

- لن أتأخر ثانية واحدة.

أنهيت الاتصال وأنا أشعر بنشوة عجيبة، لم أشعر بمثلها منذ سنوات ...

وبكل همة ونشاط، رحت أعد لحفل عيد الحب...

واخترت اللون الأحمر لكل شئ ...

فكما أعشق التذكارات، أعشق أكثر اللون الأحمر ...

اخترت مفرشاً أحمر اللون للمائدة، ووضعت فى الشمعدان شموعاً حمراء، وقضيت نصف اليوم فى إعداد كعكة من الفراولة، وضعتها على المائدة، ثم ارتديت الثوب الأحمر ...

وانتظرت ...

وفى تمام الثامنة، وصل (عماد) ...

فتحت الباب، فوجدته يقف مبتسماً، وقد أحضر باقة من الورد الأحمر ...

ولكن شيئاً ما فى ابتسامته، لم يرق لى ...

لم تكن ابتسامة محب ...

بل كانت أقرب إلى ابتسامة ذئب ...

ولكننى تجاهلت هذا، وأنا أدعوه للدخول، وتركته يقبل خدى فى رقة، قبل أن يقول فى لهفة واضحة:

- فرحت جداً، عندما اقترحت أن نحتفل بالعيد هنا.

غمغمت فى قلق:

- أنت تعلم أننى أقيم وحدى.

مال على أذنى، هامساً:

- ولهذا فرحت.

عدت أنظر إلى عينيه وابتسامته ...

لقد كنت على حق ...

إنها عيون وابتسامة ذئب ...

ذئب انفرد بفريسته ...

سألته فى قلق:

- ماذا يدور فى ذهنك يا (عماد) ؟!

همس فى أذنى، بصوت كالفحيح:

- سأخبرك فى الصباح ... يا حبيبتى.

ارتجف شئ ما فى كيانى ...

لقد فهمت ما يعنيه ...

ياللرجال !!...

كلهم يحملون الجينات نفسها ...

جينات الغدر ...

حاولت أن أبتسم، وأنا أقول:

- دعنا نأكل كعكة عيد الحب أولاً، وبعدها سأريك دولاب تذكاراتى.

طبع قبلة ثانية على خدى، وهو يهمس فى حرارة:

- ومتى سترينى كنزك ؟!

قلت فى توتر، حاولت أن أضفى عليه بعض الصرامة:

- تذكاراتى هى كنزى.

راح يغازلنى أثناء تناولنا الكعكة، وبعدها مال لتقبيلى فى شفتىَّ، فدفعته بكفى فى رقة، وأنا أقول:

Looloo
www.looloolibrary.com

- شاهد تذكاراتى أوّلا.

اعتدل مبتسماً، وهو يقول:

- لا بأس ... دعينا نراها على الفور.

نهضت، وقدته إلى حجرة تذكاراتى، وأدهشه بشدة ذلك اللون الأحمر، الذى طليت به جدرانها وسقفها، وحتى أرضيتها، وهتف ضاحكاً:

- أتعشقين اللون الأحمر إلى هذا الحد ؟!

أجبته، وأنا أفتح ضلفتى الدولاب الأحمر الكبير، فى مواجهة باب الحجرة:

- إنه لون الحياة.

حدَّق ذاهلاً فى تذكاراتى، وشعرت بجسده ينتفض فى عنف، وأنا أغرس خنجرى الأحمر فى عنقه، مستطردة:

- والموت.

وقفت هادئة، أراقب جسده وهو ينتفض على أرض الحجرة، ثم ملت نحوه، قائلة:

- لكى يظل التذكار نضراً، لا ينبغى الانتظار حتى توقّفه.

مع كلماتى، شققت صدره، ورأيت قلبه ينبض أمامى ...

ويا له من مشهد جميل ...

وبكل الحب، انتزعت قلبه من جسده، الذى انتفض انتفاضة أخيرة، ثم همد تماماً ...

لهذا اخترت الأرضية الحمراء ...

الدم لا يظهر على أرضية حمراء ...

وفى استمتاع، وضعت قلبه فى وعاء جديد، يحوى مادة حافظة، ثم وضعته إلى جوار قلوب أحبائى السابقين، الذين أحببتهم، خلال الألف عام الماضية ...

هذا أضعف ما فى البشر ...

لا يمكنهم العيش دون قلوبهم ...

تراجعت خطوتين، وأنا أنظر بكل الحب إلى القلب الجديد، بين تذكاراتى الغالية ...

قلب حبيبى.

***

Looloo
www.looloolibrary.com

أشباح...

يالهذا العبث!!...

ما يحدث فى هذا المكان هو العبث بعينه...

ولكنه لا يهتم...

لن ينجحوا فى جذب انتباهه، مهما فعلوا...

فهو يعرف كل الحيل...

كلها بلا استثناء...

سار فى هدوء، عبر أروقة القصر القديم، مروراً بتلك القاعة الواسعة الكبيرة...

قاعة الموسيقى...

هناك كانوا يرقصون...

توَّقف، وألقى نظرة خاوية عليهم...

كانوا ينتمون إلى كل العصور، التى مر بها القصر القديم...

مماليك...

فرنسيون...

أتراك...

انجليز...

وحتى مليونيرات آخر مرة، تم سكنى القصر فيها...

وبعدها لم يقطنه أحد...

الرعب الذى أصاب آخر ساكنيه، محا فكرة السكن فيه تماماً...

تابعهم بعض الوقت وهم يرقصون...

كانوا يتوافقون على نحو عجيب، على الرغم من أنهم ينتمون إلى عصور مختلفة...

وقبل موتهم، كانوا يتحدثون لغات مختلفة أيضاً...

ولكن الموت يضع قواعد جديدة...

الكل يتقارب...

والكل يتحدَّث لغة واحدة...

لغة الأشباح...

هو نفسه اعتادها...

"ألن تشترك معنا؟!...."...

ألقى عليه كولونيل إنجليزى، من ضحايا الحرب العالمية الثانية السؤال، فأجاب فى شئ من البرود:

- ليس الليلة.

هزَّ الكولونيل الإنجليزى كتفيه، وعاد يراقص مطربة فرنسية، ثم إعدامها بالمقصلة، بسبب علاقتها بجنرال ألمانى...

توَّقف ليتابع الرقص قليلاً، ثم واصل سيره، فى اتجاه مكتبة القصر القديمة...

فى نهاية الردهة، شاهد فارساً تركياً، يحاول السير متوازناً، على حافة أريكة كبيرة، فألقى نظرة لا مبالية عليه...

ياله من عبث!!...

الناس يخشون مجرَّد الاقتراب من هذا القصر؛ لأنه مسكون بالأشباح...

ولا أحد يعلم أنها أشباح تافهة...

مختلة...

عابثة...

Looloo
www.looloolibrary.com

أشباح تلهو وتعبث بلا هدف....

أشباح لا تخيف من يعرفها...

أو من يألفها...

فى المكتبة وقف يتأمل صفوف الكتب، المتراصة من الأرض إلى السقف...

إنها- بالنسبة إليه- أعظم حجرة فى القصر كله...

ولكن كل الذين امتلكوا القصر قديماً أهملوها...

جذب ذلك السلم المتحرك، حتى ركن خاص من المكتبة، وصعد بوساطته إلى الرف السابع العلوى، واختار كتاباً...

كتاب عن الأشباح القديمة...

طريف أن يحتفظ مالك القصر الأوَّل بكتاب عن هذا...

هبط إلى أرضية المكتبة، واتخذ مقعداً وثيراً، واستعد للقراءة...

"هل تقرأ هذا الكتاب دوماً؟!..."...

رفع عينيه فى هدوء إلى صاحبة الصوت...

كانت تجلس أمامه مباشرة، بعينيها الناعستين الهادئتين...

تلك المطربة المصرية، التى قتلوها فى حادث سيارة...

ولأنه اعتاد ظهورها المفاجئ، ابتسم مجيباً:

- أحاول أن أعرف أكثر.

هزَّت كتفيها، قائلة:

- ولماذا الكتاب؟!... الأشباح حولك فى كل مكان.

مطَّ شفتيه، قائلاً:

- إنها أشباح عابثة، لن تفيدنى بشئ.

سألته فى نعومة:

- هل حاولت؟!

هزَّ رأسه نفياً، وابتسم مغمغماً:

- أعلم أنها لن تفيد.

تطلَّعت إليه لحظات، قبل أن تميل بنصفها العلوى، قائلة:

- من أهم الأشياء التى تعلمتها، فى حياتى الدنيوية القصيرة، هو أن المظاهر تخدع دوماً.

أشار بيده، قائلاً:

- أرأيت ما يفعلونه طوال الوقت؟!

هزَّت كتفيها، مجيبة:

- وأشاركهم فيه أحياناً.

قال فى تحد:

- إذن!!

كانت تريد التقاط نفس عميق، كما كانت تفعل فى الدنيا، ولكن الأشباح لا تتنفَّس، ولهذا فقد مالت أكثر، وهى تقول:

- ربما لأنه ليس لديهم هدفاً.

كاد يطلق ضحكة عالية مجلجلة، وهو يقول:

- هدف؟!... إنهم أشباح!!

تراجعت فى مقعدها مبتسمة:

- حتى الأشباح، يمكن أن يكون لها هدف.

أدار الأمر فى رأسه بسرعة، قبل أن يسأل فى اهتمام:

- ماذا تتوقعين منى أن أفعل؟!

بدا عليها الحماس، وهى تجيب:

- أخبرهم أنك تريد معرفة المزيد عن عالم الأشباح، وأنك تنشد تعاونهم... ربما ستمنحهم بهذا الهدف، الذى يحتاجون إليه.

Looloo
www.looloolibrary.com

عاد لتفكيره لحظات، قبل أن يقول:

- كنت أتصوَّر أن الهدف ينتهى، بعد المرور بحالة الموت.

عادت تهز كتفيها، قائلة:

- معلومة جديدة تضيفها إلى معلوماتك عن عالم الأشباح إذن.

تراجع فى مقعده مفكراً...

أيمكن أن تكون على حق؟!

هل يمكن أن يصبح للشبح هدفاً؟!...

الأحياء يقولون: إنه لديهم هدفاً للحياة...

ولكن ماذا عن الأشباح؟!...

أيكون لديهم هدف للموت؟!..

"هراء..."...

سمع العبارة، بصوت خشن غليظ، فاعتدل يحدِّق فى ذلك المقعد، الذى كانت تجلس عليه المطربة...

ولكنها لم تكن هناك...

كان يجلس بدلاً منها رجل قوى، له لحية كبيرة، ونظرات صارمة، وعمامة ملكية..

ومن حزام وسطه، يتدلى سيف تركى أصيل...

وفى اهتمام، سأله:

- لماذا ترى أنه هراء يا باشا؟!...

أجابه فى صرامة:

- كل ما تفعله هراء ... لماذا تريد معرفة الجديد عن الأشباح؟!

قال فى حدة:

- ولماذا لا؟!

أجابه، وهو يدق سطح المكتب بقبضته:

- لأنهم أشباح... أدوا أعمالهم فى الدنيا، وهنا يرتاحون.

مال نحوه، يقول فى حزم:

- يبدو أن معلوماتك أنت عن الأشباح قليلة يا باشا.

أمسك سيفه فى غضب، هاتفاً:

- كيف تجرؤ...

لم يبال بغضبه...

حتى سيفه، لا يمكن أن يقتل أحداً...

لأنه سيف شبح...

ولهذا تراجع فى مقعده فى هدوء، وهو يقول:

- أتعلم لماذا تبقى الأشباح عالقة بالدنيا يا باشا؟!

احتفظ الباشا بملامح الغضب لحظات، ثم عاد يجلس، وهو يسأل:

- ماذا يقول الكتاب؟!

لوَّح بالكتاب، مجيباً:

- يقول: إن الشبح يبقى عالقاً بالدنيا؛ لأنه هناك أمر لم يتمه بعد.

لوح الباشا بذراعه كلها:

- هذا هو الهراء بعينه... كل مخلوق يموت، وهناك أمور لم يتمها بعد.

مال نحوه، يسأله فى تحد:

- لماذا يبقى البعض، ويرحل البعض إذن؟!

صمت الباشا مفكراً لحظات، ثم هز كتفيه:

- لست أدرى.

مال أكثر، قائلاً:

- ربما لأنه مازال لوجودهم هدف.

Looloo
www.looloolibrary.com

كان الباشا يريد أن يكابر، إلا إنه كشبح، لم يكن بإمكانه هذا، فغمغم:

- ربما...

"قم بما عرضته عليك إذن..."...

ظهرت المطربة فجأة، خلف مقعد الباشا، وهى تقول هذا، فالتفت إليها الباشا فى بطء:

- أنت تؤيدينه إذن؟!

قالت فى رقة:

- وماذا سنخسر؟!

تأملها الباشا لحظات، قبل أن يقول بنفس الخشونة الغليظة:

- كان الأفضل أن ننتمى إلى عصر واحد، فى حياتينا.

ضحكت، قائلة:

- كنت بالنسبة لى تاريخاً مشرِّفاً.

اعتدل هو، قائلا فى اهتمام:

- هذه حقيقة جديدة عن الأشباح... المشاعر تبقى.

التفت إليه الباشا فى صرامة:

- ولكنها تختلف ... هى هنا مشاعر صرفة، ليس فيها شهوات.

قال مبتسماً:

- لأنه ليس هناك جسد.

هزَّت المطربة كتفيها كعادتها:

- وليست هناك نزوات.

أشار إلى الباشا، قائلاً:

- ولكن الباشا شعر نحوك، بما يشعر به الرجل نحو المرأة.

هتف الباشا فى غضب:

- أنت وقح.

لم يبال بغضبه، وهو يقول:

- حتى الغضب، هو إثبات على بقاء المشاعر.

نهض الباشا، وسحب سيفه الفضى، وهو يقول فى صرامة:

- تستحق قطع رقبتك لهذا.

ابتسم فى لا مبالاة:

- لا يمكنك قطع رقبتى يا باشا.

قال الباشا فى حدة:

- ولم لا؟!.

أجابه بنفس الهدوء:

- لأنك مجرّد ... شبح.

أطلقت المطربة ضحكة عابثة قصيرة، قبل أن تشير بكفها فى رقة:

- ولأنه هو أيضاً شبح.

ابتسمت فى هدوء...

نعم... انا شبح...

شبح حديث، فى عالم الأشباح...

ولهذا أريد أن أعرف أكثر عن عالمى الجديد...

وعن الأشباح.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

بالسيف...

التمعت عيناه ببريق جنونى، وهو يقف ممسكاً سيفه، أمام ذلك الكهل، الذى راح يرتجف فى رعب، وهو يهتف باكياً:

- الرحمة.

زمجر كالوحوش، وهو يصرخ فيه فى شراسة:

- لا رحمة مع أمثالكم.

بكى الكهل فى مرارة ويأس، وهو يقول:

- ماذا فعلت بك، حتى تعاملنى بهذه القسوة؟!

صرخ فى وحشية:

- ترفض أتباع آرائى وأفكارى.

هتف الكهل:

- أهذ جريمة؟!... الله سبحانه وتعالى، عندما خلق البشر، خلق لكل منهم إرادة منفردة، وسيحاسب جلَّ جلاله كل منهم على نحو منفرد... الله عزَّ وجلَّ أراد الناس مختلفين، فكيف تتحدى إرادة المنتقم الجبار؟!... كيف؟!

بدا كالوحش المجنون، وهو يصرخ:

- إرادته هى إرادتى.

صاح الكهل فى انهيار:

- أى أحمق وضع هذا فى رأسك وقلبك؟!... بل أى مجنون؟!

احتقن وجهه، حتى صار أشبه بنسخة بشرية من الشيطان، وهو يصرخ:

- كيف تجرؤ أيها الـ....

وقبل حتى أن يتم صرخته، هوى بسيفه على عنق الكهل...

وتناثرت الدماء فى كل اتجاه...

تناثرت على ثيابه...

ولحيته...

وحتى فمه ولسانه...

ولكنه لم يبال...

لقد صار بالفعل أشبه بالوحوش الضارية...

ذاق طعم الدم...

وتلذَّذ به...

وعشقه...

ومع السيف، الذى يحمله بيديه، يشعر بالقوة...

فالسيف بتار... يقطع ويبتر...

والسيف هو العزة...

والقوة...

والسطوة...

والبأس...

لم يبال بالدم الذى يغرقه، وهو يركل رأس الكهل فى ازدراء، وكأنه ليس بشراً مثله، ثم ينتقل إلى شيخ طاعن فى السن، بدا شديد الهدوء، على الرغم من القيود القوية، التى تربط معصميه خلف ظهره...

وأولئك الذين لا يخافون يثيرون أعصابه....

متعته الأساسية فى الحياة، هى أن يرى الناس ترتجف أمامه...

تخاف...

تفزع...

تشعر بالعجز فى مواجهته...

Looloo
www.looloolibrary.com

وبالها من متعة...

"ألا تخشانى أيها الشيخ؟!..."...

صرخ بها فى شراسة وحشية، إلا أن الشيخ ظل هادئاً، وهو يجيب:

- لست أخشى إلا الله سبحانه وتعالى.

عاد يصرخ، فى شراسة وحشية أكثر، وهو يقرن صرخته بتلويحة تهديد من سيفه:

- إياك أن تذكر اسمه.

وبدلاً من الخوف، حملت شفتا الشيخ ابتسامة ساخرة، وهو يقول بنفس الهدوء:

- أتظنه حكراً عليك؟!

اتسعت عيناه واحمرتا، وهو يصرخ:

- أتجرؤ.

بدت لهجة الشيخ متحدية، وهو يقول:

- وماذا يمنعنى؟!... الخوف؟!... على ماذ ا؟!... وعلى من؟!... الوحش فى أعماقك قتل كل ما كنت أبالى به فى الحياة... الجمال، والسعادة، والهدوء، والأسرة، والاستقرار والأمان.... قتلتها مدعياً أنك تقاتل من أجل رسالة نبيلة.

زمجر فى جنون صارخاً:

- إنها كذلك.

اتسعت ابتسامة الشيخ الساخرة، وهو يقول:

- شيطانك ساذج حقير، لو تصوَّر أن مخلوقاً عاقلاً واحداً، يمكن أن يصدّق، أن القتل والتعذيب والوحشية والبذاءة، والشراسة والكذب والغش والخداع، هم وسائل رسالة نبيلة...

الشيطان زيَّن لك شروره؛ لترتكبها من أجله، مدعياً أنها رسالة نبيلة.

احتقن وجهه أكثر، ولوَّح بسيفه، صارخاً:

- إنها أشرف رسالة.

قال الشيخ فى هدوء:

- وأحقر مقاتل.

ارتفع غضبه، وهو يميل نحو الشيخ، صارخاً كالوحش الكاسر:

- سأقطع رأسك، وأبول عليها.

هزَّ الشيخ رأسه فى لامبالاة، قائلاً:

- لقد بلغت من العمر أرذله، وفقدت عائلتى كلها على يديك، ويدى الشياطين أمثالك، ولا بأس من أن تفعل برأسى ما تريد، بعد أن تقطعه؛ فلا يضير الشاه سلخها بعد ذبحها... وكلما زادت وحشيتك فى التمثيل بجثتى، زاد إيمان الناس بأنك من أتباع الشيطان، ولست من المدافعين عن الله عزَّ وجلَّ...

كان الشيخ عاجزاً، مقيداً، مسلوب الإرادة أمامه...

ولكنه شعر بالخوف منه...

وياله من خوف!!...

هو الذى يحمل السيف...

وهو الذى يرتجف خوفاً...

وكما علمه قادته، يوجد سبيل واحد لقهر هذا الخوف...

القوة...

وبكل قوته، رفع السيف إلى أعلى ما يستطيع، صارخاً:

- ستموت أيها الشيخ.

لم يبد أدنى خوف على الشيخ، وهو يقول:

- من عاش بالسيف مات بالسيف.

Looloo
www.looloolibrary.com

تجمَّدت يده فى الهواء، واتسعت عيناه...

أى شيخ هذا؟!...

وأية كلمات!!...

بكل عصبية، هتف:

- أى قول مأفون هذا؟!

مال الشيخ نحوه، وابتسم ابتسامته الساخرة، وهو يقول:

- أنت ستقتلنى بسيفك.... ولكن كيف ستموت أنت؟!

ارتجف مرة أخرى، وهو الذى يحمل السيف...

ثم قرَّر تطبيق قاعدة قادته...

ورفع سيفه إلى أعلى أكثر...

وبكل قوته، هوى به...

لكن ارتفاع السيف الزائد، كانت له تداعياته...

لقد قطع أحد الأحبال الرئيسية، التى تربط العروق الخشبية بالسقف...

وهوى عرق خشبى ضخم ثقيل...

وكان المشهد عجيباً...

كان أشبه بمشهد تم إعداده بدقة بالغة، فى فيلم سينمائى عالى التكلفة...

فالعرق الخشبى هوى، عندما انحنى هو؛ ليضرب عنق الشيخ...

وارتطم العرق الخشبى بظهره...

بمنتصف عموده الفقرى تماماً...

وسمع الشيخ صوت عظام تتكسر...

وشعر هو بآلام رهيبة فى ظهره...

وبفقدان الشعور تماماً، فى نصفه السفلى...

أما سيفه، فقد طار فى الهواء...

ثم هوى بدوره...

كانت يداه ممدودتان أمامه، كحركة غريزية، يقوم بها المرء مع سقوطه...

واختار السيف هدفه بدقة...

أو أن القدر هو الذى اختار المسار...

وبمنتهى الدقة...

فالسيف هوى بحافته الحادة على معصميه...

وبتر كفيه فى ضربة واحدة...

وصرخ هو فى ألم ورعب....

صرخ...

وصرخ...

وصرخ...

واندفعت الدماء من كفيه المقطوعين، تصنع من حوله بحيرة حمراء قانية...

وفى هدوء، تطلع إليه الشيخ...

فى هدوء لا يحمل أية مشاعر...

على الإطلاق...

أما هو، فقد أصابته حالة، لم يتصور أن يصاب بها قط...

حالة من الألم...

والعجز...

والشلل...

والضعف...

والخوف...

والرعب...

Looloo
www.looloolibrary.com

والانهيار...

الضربة، التى أصابته فى ظهره، كسرت عموده الفقرى، وقطعت حبله الشوكى ...

وأصابته بالشلل...

شلل دائم، لا علاج له، فى نصفه السفلى...

وثقل العرق الخشبى يثبته فى الأرض....

وكفاه مبتوران...

إنها حالة تناقض ما قاتل من أجله طيلة عمره...

حالة ضعف...

تام...

وفى يأسه وانهياره هتف:

- الرحمة يا رب العالمين.

تطلع إليه الشيخ، بتلك النظرة الخاوية، ثم زحف فى بطء، حتى بلغ السيف، الذى مازال ملوثاً بالدم...

وفى هدوء، استدار يلتقط السيف، ويستخدم حافته لقطع قيوده...

وراقبه هو فى فزع وارتياع، مغمغماً:

- هل ستقتلنى؟!

نهض الشيخ واقفاً على قدميه، بعد أن تخلصَّ من قيوده، وتطلعَّ إليه لحظات، قبل أن يقول فى هدوء:

- ما فعلته بعائلتى يستحق القتل فعلاً.

اتسعت عيناه فى ذعر، ولكن الشيخ ألقى السيف، مستطرداً:

- ولكننى لن أفعل.

شعر بدهشة، ارتجف لها جسده، وهو يغمغم:

- هل ستعفو عنى، بعد كل ما فعلته؟!

ابتسم الشيخ، قائلاً:

- ولا هذا أيضاً.

حدَّق فيه حائراً متألماً، ولكن الشيخ أشار إلى الرءوس المقطوعة من حوله، وهو يستطرد:

- بعد قليل سيحل الظلام... ورائحة دماء الرءوس، التى قطعتها بسيفك، ستجذب كل حيوانات وقوارض المنطقة.

اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يتصوَّر الميتة البشعة، فى حين التقط الشيخ نفساً عميقاً، قبل أن يقول:

- سبحان الله... من عاش بالسيف مات فعلاً بالسيف.... بسيفه.

ثم التقط عصاه، وغادر المكان فى هدوء، وترك بابه مفتوحاً...

واتسعت عيناه هو بكل الرعب...

فهناك فى الركن، كان هناك زوج من الأعين يحدَّق فيه...

لقد جذبت رائحة الدم قوارض ووحوش المنطقة بالفعل...

وسينعمون هذه الليلة بوجبة كبيرة دسمة، تكفى الكل...

وجبة من وحش عاش بالسيف...

ومات بنفس السيف....

مائة مرة.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

جن...

"أنت إذن تقوم بتحضير الجن...."...

قالها ذلك القادم، فى سخرية ملحوظة، فرفع الدكتور (فهمى) عينيه إليه، قائلاً فى صرامة غاضبة:

- لا تسخر مما تعجز عن فهمه يا هذا.

اتسعت ابتسامة الرجل الساخرة، وهو يقول:

- أتفهمه أنت؟!

اعتدل الدكتور (فهمى)، وعدَّل منظاره الطبى على أنفه، وهو يقول فى صرامة:

- أنت تقف أمام أشهر عالم، فى فيزياء ما فوق الطبيعيات، فى جميع المحافل العلمية...

هزَّ الرجل كتفيه فى استهتار، وجلس دون أن يدعوه الدكتور (فهمى) لهذا، وأشار بيده، قائلاً:

- لا داع لتقديم نفسك... لقد حضرت كل محاضراتك.

قال الدكتور (فهمى) فى دهشة:

- كلها؟!

أومأ الرجل برأسه إيجاباً:

- نعم.... كلها.

جذب الدكتور (فهمى) نفساً عميقاً، كمن يستعد لخوض نزالاً، وهو يقول:

- هذا مستحيل!.... عملياً.

هزَّ الرجل كتفيه مرة أخرى، قائلاً:

- ولم؟!

أجابه الدكتور (فهمى) متحدياً:

- أنا ألقى محاضراتى منذ نصف قرن، وعمرك، حسبما يبدو، ولم يتجاوز الأربعين بعد.

التقط الرجل نفساً عميقاً، وقال:

- شبكة الإنترنت صارت أشبه بآلة زمن.

غمغم الدكتور (فهمى) فى حذر:

- أتعنى أن...

قبل أن يتم تساؤله، أومأ الرجل برأسه إيجاباً، وأكمل:

- نعم.... لقد طالعت كل محاضراتك، على شبكة الإنترنت.

صمت الدكتور (فهمى) يتأمله لحظات، قبل أن يسأله:

- ولماذا تهتم بالجن، مادمت لا تؤمن بوجودهم؟!

ابتسم الرجل ابتسامة باهتة، وهو يقول:

- على العكس... أنا أؤمن بوجودهم تماماً.

تراجع الدكتور (فهمى) فى دهشة:

- ماذا إذن؟!

بدت له ابتسامة الرجل مخيفة، وهو يقول:

- أنا أؤمن بالجن، ولكننى لا أؤمن بك أنت.

التقى حاجبا الدكتور (فهمى)، وهو يغمغم فى حذر شديد:

- لماذا أنت هنا إذن؟!

لوَّح الرجل بذراعه كلها:

- لأكشفك.

حدَّق به الدكتور (فهمى) لحظات مستنكرا، ثم تراجع فى مقعده، مردداً:

Looloo
www.looloolibrary.com

- تكشفنى؟!... أنت؟!

اعتدل الرجل فى حركة حادة، وهو يقول فى صرامة:

- ولن تكون أوَّل من اكشف خداعه.

تأمَّله الدكتور (فهمى) لحظات فى صمت، ثم عقد كفيه أمامه، وتراجع فى مقعده، وهو يقول:

- أرنى كيف ستفعل؟!

ابتسم الرجل ابتسامة واثقة، وهو يقول:

- أرنى أنت ما تفعله.

صمت الدكتور (فهمى) لحظات أخرى، ثم قال:

- ماذا أخبروك أننى أفعله؟!

أجابه فى تحد:

- تدَّعى تحضير الجن.

هزَّ الدكتور (فهمى) رأسه نفياً فى بطء:

- لم أدع هذا قط.

عاد الرجل يتراجع فى مقعده:

- قلت: إنك خبير فى عالم الجن.

أومأ الدكتور (فهمى) برأسه إيجاباً:

- هذا صحيح.

قهقه الرجل ضاحكاً فى سخرية، قبل أن يقول:

- وكيف لك هذا؟!... هل التقيت شخصياً بأحد من الجن من قبل؟!

التقط الدكتور (فهمى) نفساً عميقاً وقال فى صبر:

- ما من عالم فلكى غاص بنفسه فى قلب الشمس، ولكن عشرات من علماء الفلك، يستطيعون أن يصفوا بدقة ما يحدث فى قلب الشمس.

أشار الرجل بيده، قائلاً

- فارق كبير بين هذا وذاك؛ فالشمس يمكن رؤيتها، بوساطة المناظير الفلكية، ومقاييس الطيف، والنماذج ثلاثية الأبعاد، وهذا لا ينطبق على عالم الجن.

استغرق الدكتور (فهمى) فى التفكير لحظات، قبل أن يقول:

- ومذا عن قلب الذرَّة؟!... جسيمات عديدة تم وصفها بدقة، قبل أن تراها الميكروسكوبات الإليكترونية بأعوام.

قال الرجل متحدياً:

- كانت هناك حسابات رياضية.

هتف الدكتور (فهمى) فى ظفر:

- وهذا ينطبق على عالم الجن.

نهض الرجل، يقول فى حزم صارم:

- مستحيل!... لأنه ما من معطيات أوَّلية، يمكن استخدامها؛ لوضع القوانين الأساسية... بل ليس هناك من رأى الجن فعلياً.

أجابه الدكتور (فهمى) فى سرعة:

- سيدنا (سليمان) عليه السلام فعل.

هزَّ كتفيه، قائلاً:

- إنه نبى... ثم أنه لم يمنحنا أية معطيات أساسية.

رفع الدكتور (فهمى) سبابته، قائلاً فى حزم:

- فى هذا تخطئ، وتثبت جهلك يا رجل... قصة سيدنا (سليمان) أعطتنا الكثير من المعلومات والمعطيات الأساسية، عن عالم الجن.

بدا الاهتمام على الرجل، وهو يعاود الجلوس، متسائلاً:

- مثل ماذا؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أجابه الدكتور (فهمى)، وقد راوده شعور بقرب الانتصار:

- مثل أن تواجد الإنس والجن فى مكان واحد ممكن، كما كان فى بلاط (سليمان) عليه السلام، وهم يتباحثون فى شأن عرش (بلقيس).

تراجع الرجل فى مقعده، وهو يقول فى اهتمام:

- هذا صحيح.

واصل الدكتور (فهمى) فى حماس:

- الواقعة تثبت أن لديهم علوماً متطوِّرة؛ بدليل أن أحدهم قال: إنه يستطيع أن يأتى بعرش (بلقيس)، قبل أن يقوم سيدنا (سليمان) عليه السلام من مكانه.

هزَّ الرجل كتفيه، قائلاً:

- هذا أمر بسيط.

مال الدكتور (فهمى) نحوه، مردفاً فى حماس:

- وهم ليسوا خارقين أو منيعين؛ لأنه عليه السلام كان يعاقبهم، وليست لديهم قدرة على معرفة الغيب؛ لأنه عندما مات، لم يعلموا إلا عندما أكل النمل عصاه.

ران الصمت عليهما لحظات، ثم قال الرجل فى استخفاف:

- أهذا كل ما تستند إليه؟!

انعقد حاجبا الدكتور (فهمى)، وهو يغمغم:

- هناك أمور أخرى، تعجز عن فهمها.

انطلقت ضحكة الرجل عالية، ساخرة، مستفزة، قبل أن ينظر إلى الدكتور (فهمى)، قائلاً:

- أمور أعجز عن فهمها!!... نفس ما سمعته من كل النصابين.

انتفض جسد الدكتور (فهمى)، وهو يقول:

- إياك أن تصفنى بهذا.

نهض الرجل فى حركة حادة، وهو يقول فى شراسة:

- بم ينبغى أن أصفك إذن؟!... بأنك محتال؟!...

هتف الدكتور (فهمى):

- لست محتالا.

اقترب منه الرجل:

- بم تصف نفسك إذن؟!

صاح الدكتور (فهمى)، وهو يتراجع:

- أنا أحد أشهر علماء هذا المجال.

اقترب الرجل أكثر، وهو يقول فى لهجة مخيفة:

- أى مجال؟!... خداع الجهلاء؟!

تراجع الدكتور (فهمى)، وهو يقول فى توتر:

- من أنت؟!... وماذا تريد منى؟!

واصل الرجل اقترابه، وحملت عيناه لمحة وحشية، وهو يقول:

- أخبرتك من قبل... أنا خبير فى كشف أمثالك؟!

هتف الدكتور (فهمى)، وهو يلتصق بالجدار:

- قلت لك: إننى عالم محترم.

اقترب الرجل منه، حتى صارت أنفاسه تختلط بأنفاس الدكتور (فهمى)، ووضع راحتيه على الجدار، إلى يمين رأسه ويساره، وهو يقول فى شراسة عجيبة:

- كلهم قالوا هذا.

ازدرد الدكتور (فهمى) لعابه فى صعوبة، وهو يقول فى صوت مبحوح:

- سأستدع الأمن.

Looloo
www.looloolibrary.com

قال الرجل فى تحد:

- افعل.

غمغم فى توتر شديد:

- سيتهمونك بالاعتداء على أستاذ جامعى، أثناء تأدية عمله.

ابتسم الرجل فى سخرية مرعبة:

- ليس لديك عمل اليوم... لقد راجعت جدولك، ولست أدرى حقاً ماذا تفعل هنا!!.

شعر الدكتور (فهمى) بتوتر شديد يسرى فى كيانه، وهو يغمغم فى صوت مبحوح:

- ما تفعله يندرج تحت بند مخالفة القانون.

اتسعت ابتسامته الشرسة المخيفة:

- وماذا عما تفعله أنت؟!

ثم مال نحوه أكثر:

وأكثر...

وأكثر...

وضاقت عيناه فى شدة...

و...

"ماذا فعلت أيها التعس؟!..."...

هتف بها الجنى، المسئول عن العلاقات البشرية، فغمغم الواقف أمامه فى صرامة:

- لقد استفزنى.

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا القول، إلا أنه أضاف فى عصبية:

- وتحدانى.

قال مسئول الجن فى غضب:

- أيعنى هذا أن تحرقه؟!

قال الواقف أمامه فى عصبية:

- لم يكن أمامى سوى هذا... ولكن اطمئن... جثته احترقت عن آخرها، ولم يبق منها أثر.

قال المسئول فى حدة:

- وماذا لو أنه هناك آخرون؟!

لم يجب، فاستطرد المسئول فى صرامة:

- هذا تحذير أخير لك، أيها الجنى المشاغب.... إياك أن تقدم على حماقة أخرى، وإلا كان هذا نهاية وجودك على الأرض.

أومأ برأسه، دون أن يجيب، فأشار مسئول الجن بيده، صائحاً:

- هيا... عد... واعتبر هذا انذارك الأخير.

التقط نفساً عميقاً، واستدار يواجه الجدار...

عليه أن يكون حذراً فى المرات القادمة...

وأن يتمالك أعصابه...

عبر الجدار فى خفة، استعاد بعدها هيئته البشرية، التى اعتادها...

هيئة الدكتور (فهمى).

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى القبر ...

حدَّق (شحاته) فى وجه زميله (نجاتى) فى ذهول مستنكر، وهما يجلسان على ذلك المقهى الشعبى الصغير، فرفع (نجاتى) سبَّابته إلى شفتيه، محذراً (شحاته) من ارتفاع صوته، فخفض هذا الأخير صوته بالفعل، وهو يقول فى حدة:

- أنت مجنون حتماً.

التقط (نجاتى) نفساً عميقاً من سيجارته، ونفثه فى الهواء فى بطء، قبل أن يقول فى هدوء:

- بل أنا عاقل تماماً.

خفض (شحاته) صوته فى صعوبة، مع الانفعال الجارف، الذى يشعر به، وهو يقول فى عصبية:

- عاقل ؟! ... تريدنا أن ننبش قبراً، ونقتلع أسنان ميت، وتقول: إنك عاقل!!

نفث (نجاتى) دخان سيجارته مرة أخرى فى عصبية، بذل جهداً خرافياً للسيطرة عليها، قبل أن يميل نحو (شحاته) قائلاً:

- أوَّلاً: فكرة نبش القبور هذه فكرة قديمة ... كل ما سنفعله هو أن نفتح باب مقبرة، ونهبط فى درجات سلمها، إلى حيث ترقد الجثث، ونعثر على جثة الحاج (رضوان).

تراجع (شحاته) مصعوقاً:

- الحاج (رضوان) ؟!... صاحب معرض السيارات ؟!... الرجل مات بالأمس فقط !!..

مال (نجاتى) نحوه أكثر، وهو يقول:

- ولهذا لابد وأن نتحرَّك فى سرعة، قبل أن يسبقنا أحد.

غمغم (شحاته):

- يسبقنا ؟!

ثم ارتفع صوته، على الرغم منه، وهو يهتف:

- ولماذا يسبقنا أى عاقل إلى هذا ؟!

رفع (نجاتى) سبَّابته إلى شفتيه مرة أخرى، وتلفَّت حوله فى قلق، خشية أن يكون أحداً من رواد المقهى قد انتبه إليهما، ومال مرة أخرى نحو (شحاته)، قائلاً فى صرامة:

- قم ... سنكمل حديثنا فى مكان أكثر هدوءاً.

وبينما يسيران بمحاذاة كورنيش النيل، فى منطقة هادئة، أكمل (نجاتى):

- الأسنان التى تتحدَّث عنها ليست أسناناً عادية ... الحاج (رضوان) كان يتباهى بأن نصف أسنانه من الذهب، وعندما كان يبتسم، كانت سنته الذهبية الأمامية تلتمع، تحت أشعة الشمس.

بدا (شحاته) مبهوراً، وهو يقول:

- أسنان من ذهب ؟!

أدرك (نجاتى) أنه يقترب من هدفه، فلوَّح بكفيه، قائلاً فى لهجة مغرية:

- لقد بحثت على شبكة الإنترنت، وعلمت أن أسنان الشخص البالغ، يبلغ عددها اثنتين وثلاثين ... والضروس أثقل حتماً من الأسنان ... وهذا يعنى أننا سنحصل على ست عشرة قطعة ذهبية، من فم الحاج (رضوان).

سأله (شحاته) فى لهفة:

- وكم سيبلغ ثمنها فى رأيك ؟!

ابتسم (نجاتى) فى ظفر، وهو يجيب:

Looloo
www.looloolibrary.com

- خمسة آلاف على الأقل.

التمعت عينا (شحاته)، وهو يسأل، ولعابه يسيل:

- وكم سيبلغ نصيبى منها ؟!

كان (نجاتى) ينوى اقتسام المبلغ معه مناصفة، ولكن سؤاله جعله يجيبه فى حزم:

- ألفين.

التمعت عينا (شحاته) أكثر، ولكن سرعان ما خبت التماعتهما، وهو يقول فى صوت مرتجف:

- ولكن أن تدخل قبر شخص حديث الوفاة ...

هتف به (نجاتى) فى حدة:

- وما الفارق ؟!

تطلَّع إليه (شحاته) فى تساؤل حائر مرتجف، فتابع بنفس الحدة:

- ما الفارق بين شخص حديث الوفاة، وآخر قديم الوفاة ... كلاهما موتى أيها الغبى.

تراجع (شحاته) مغمغماً:

- نعم .. ولكن ...

لم يشأ (نجاتى) أن يمنحه فرصة للتراجع، فاستدار يوليه ظهره، ويسير مبتعداً عنه، وهو يقول فى حدة:

- فليكن يا (شحاته) ... سأبحث عن شخص آخر، يفوز بالـ ...

« انتظر ...»...

هتف بها (شحاته فى ذعر، خشية أن يفقد المبلغ ...

وبعد ساعة واحدة، كان الاثنان فى منطقة المقابر ...

وأمام ضريح الحاج (رضوان) مباشرة ...

« إننى أرتجف ...»...

همس بها (شحاته) فى رعب، فأجابه (نجاتى) فى ازدراء:

- اهدأ ... انهم موتى ... لم نسمع يوماً عن ميت آذى حياً.

قالها، وهو يتسلَّق سور الضريح، ثم يهبط داخله، فحدَّق فيه (شحاته) فى رعب، عبر الباب الشبكى المعدنى، فصاح فيه فى خفوت:

- ماذا تنتظر ؟!

استنفر (شحاته) كل طمعه وإرادته، وألقى حقيبة الأدوات عبر السور، ثم تسلقه، وهبط على الجانب الآخر ...

« سنرفع بلاطة الأسمنت أولاً ...»..

كان جسد (شحاته) يرتجف، ولكنه ساعد (نجاتى) على رفع بلاطة الأسمنت الثقيلة، والاثنان يحرصان على عدم إصدار أى صوت ...

وانفتح القبر أمامهما ...

ومنه انبعثت رائحة رطبة عفنة، جعلت (شحاته) يتراجع، ويطلق شهقة رعب، وعيناه تتسعان عن آخرهما ...

وفى صرامة وغضب وخفوت، هتف به (نجاتى):

- كف عن حماقاتك هذه، وناولنى المصابيح اليدوية.

وفى جرأة، هبط (نجاتى) إلى داخل القبر، وهو يضئ طريقه بمصباحه اليدوى، ولحق به (شحاته) وهو يرتجف ...

فكرة التواجد داخل قبر ليلاً كانت تخيفه ...

أو ترعبه ...

أو هى فى الواقع ... تقتله ...

هبط فى درجات السلم درجة بعد درجة، مع مساحة زمنية غير قليلة، بين كل درجة وأخرى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

« هل سنقضى الليل كله هنا ؟!.....»..

هتف به (نجاتى) فى غضب، فانتفض جسده رعباً، وانطلقت من حلقه شهقة قوية، حتى أن توازنه اختل، وسقط داخل المقبرة، و ...

والتقطته يد (نجاتى)، قبل أن يقع ...

« ماذا أصابك ؟!...»..

هتف به (نجاتى) فى غضب، فانتفض جسده مرة أخرى:

- لقد ... لقد انزلقت ...

نظر إليه (نجاتى) فى غضب، وضوء مصباحيهما اليدويين يتراقصان على جدران وأرضية المقبرة، ويصنعان ظلالاً هائلة مخيفة، جعلت (شحاته) يحبس أنفاسه بكل الرعب ...

« اسمعنى جيداً يا (شحاته) ...»...

قالها (نجاتى)، وهو يكظم غيظه وغضبه فى صعوبة ...

وكم تمنى لحظتها أن يقتل (شحاته)، ويبقيه مع الموتى فى المقبرة ...

فهو يدرك أن هذا الأحمق سيفسد عمله حتماً ...

إن لم يكن الآن، ففيما بعد ...

بهذه الأعصاب الضعيفة، لن يلبث أن ينهار حتماً ...

إن آجلاً أو عاجلاً...

وعندئذ سيفشى السر ...

وستكون النهاية ...

لهذا خطَّط منذ البداية؛ للتخلص منه، بعد الحصول على الأسنان الذهبية ...

ولهذا اختاره من الأساس ...

ولولا احتياجه لشريك، يرفع معه البلاطة الإسمنتية الثقيلة، ويعيدها معه

إلى موضعها، لما اختاره ...

« هل سمعت يوماً عن ميت، عاد إلى الحياة ؟!...»...

ألقى السؤال فى وجه (شحاته) مباشرة، فارتجف جسده، وهو يدير عينيه فيما حوله، مغمغماً:

- لم أسمع ... ولكن ...

قاطعه فى صرامة:

- ولكن ماذا ؟!..

أدار (شحاته) عينيه فيما حوله مرة أخرى، على ضوء مصباحه، ثم غمغم فى توتر:

- ربما ...

عاد (نجاتى) يقاطعه فى حدة غاضبة:

- ربما ماذا ؟!... عد إلى رشدك يا هذا ... الموت هو نهاية مشوار الحياة ... لا أحد يعود من الموت، إلا فى أفلام الخرافات السخيفة .. فى الحياة لم يفعلها أحد ... هل تفهم ؟!... لم يفعلها أحد قط ...

غمغم (شحاته) فى رعب:

- نعم ... أفهم .

جذبه (نجاتى) من قميصه، وهو يسأله فى صرامة:

- والآن ... هل تتذكر ما سنفعله ؟!

أجابه (شحاته) مرتجفاً:

- سنشق الأكفان، حتى نعثر على جثة الحاج (رضوان).

سأله (نجاتى) فى شراسة:

- ثم ماذا ؟!

ارتجف أكثر، وهو يقول:

Looloo
www.looloolibrary.com

- نستخدم الآداة التى أحضرناها، لاقتلاع كل سن أو ضرس ذهبى فى فكيه.

أفلت (نجاتى) قميصه، وقال فى صرامة:

- عظيم ... دعنا نبدأ عملنا إذن، قبل أذان الفجر.

كانت هناك ثلاث جثث فى المقبرة، قاما بشق أكفانها، قبل أن يضئ (نجاتى) مصباحه فى وجه جثة الحاج (رضوان)، قائلاً:

- ها هو ذا.

وارتجف (شحاته) أكثر ...

الرجل كان يبدو وجهه نضراً، وكأنه نائم فحسب، وليس ميتاً ...

لقد سمع من والدته أن ملامح الإنسان تتغيَّر بعد الموت ...

ولكن ملامح الحاج (رضوان) لم تفعل ...

إنها كما هى ....

حية ...

« سأحضر الآداة، وعليك أن تمسك فكيه، حتى أقتلع أسنانه ...»...

قالها (نجاتى)، وهو يبحث عن الآداة فى حقيبته، فانتفض (شحاته)، هاتفاً بكل الرعب:

- لا ... مستحيل !!

قلب (نجاتى) شفتيه فى احتقار وازدراء:

- فليكن ... سأفعل هذا وحدى.

ابتعد (شحاته) قليلاً، وأولاه ظهره، وأغمض عينيه، وجسده كله يرتجف، فانقلبت شفة (نجاتى) السفلى فى ازدراء، و ...

وفجأة، قبضت يد على معصمه، واتسعت عيناه عن آخرهما فى رعب، وانتفض جسده انتفاضة أكثر عنفاً، من مجموع انتفاضات (شحاته) كلها،

وحدَّق فى ذهول ورعب، فى وجه الحاج (رضوان)، وانطلقت من حلقه شهقة صغيرة قصيرة ...

شهقة استدار لها (شحاته)، مع ضوء مصباحه ...

ورأى ...

رأى (نجاتى) ملقى أرضاً، وجثة الحاج (رضوان) جالسة، تتطلع إليه مباشرة ...

« حالة نادرة للغاية ...»...

قالها الطبيب الشرعى أمام الضابط ووكيل النيابة، قبل أن يهز رأسه، متابعاً:

- ضربات القلب تنخفض بشدة، والجسد يتخشَّب، ويبدو الأمر، حتى لبعض الأطباء، أنها حالة وفاة.

قال وكيل النيابة فى اهتمام:

- أتعنى أنه لو لم يفتح المجرمان القبر، ويشقان الكفن ...

أكمل الطبيب، قبل أن يتم وكيل النيابة سؤاله:

- لمات الحاج (رضوان) مدفوناً فى قبر، لا يملك وسيلة للخروج منه.

هزَّ الضابط رأسه، قائلاً فى مهابة:

- سبحان الله ... وكأنه عزَّ وجلَّ أرسلهما فقط لإنقاذ حياة الحاج (رضوان) ... أهو بخير.

قال الطبيب الشرعى:

- سيتعافى ويعود لعمله خلال أسبوع واحد ... على عكسهما ... أحدهما مات بأزمة قلبية.

ثم أشار إلى الجالس بين شرطيين، مكملاً:

- والآخر أصيب بالجنون.

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى حالته هذه، لم يستوعب (شحاته) ما يقوله الطبيب الشرعى ...
لم يستوعبه أبداً.

***

الوشم...

منذ يومه الأوَّل فى الكلية وهو خائف...
خائف من كل شئ...
من المكان...
والجدران..
والأساتذة...
وحتى الطلاب....
وربما بالذات ... الطلاب...
هذا لأنه أضعف من أن يواجه كل هذا...
فهو، ومنذ مولده، ضئيل...
قصير...
رقيق...
هادئ...
باختصار، هو شخص عاجز عن المواجهة...
أية مواجهة...
تماماً...
وربما لهذا، ومنذ خطا خطوته الأولى فى الكلية، كان يرتجف...
وربما لارتجافته، جذب إليه أنظار ذلك المتنمّر الضخم، الذى اعتاد مضايقة كل طالب جديد...
"اسمك وعنوانك..."...
قالها ذلك المتنمِّر فى صرامة قاسية، وهو يعترض طريقه كجبل ضخم،

Looloo
www.looloolibrary.com

ويرمقه بنظرة وحشية مخيفة، جعله يرتجف، وهو يقول:

- اسمى (حسام).

مال عليه ذلك المتنمِّر الضخم، حتى كادت أنفاسه تطرد كل الهواء، وهو يقول:

- وأنا اسمى (الجمّال)... وهم يسمونني هنا (جبّار)، وهذا الاسم الذى ستنادينى به، من الآن فصاعد، هل تفهم؟!

سؤاله الأخير ألقاه فى شراسة مخيفة، جعلته هو يرتجف أكثر، دون أن يطاوعه لسانه على النطق...

حاول...

وحاول...

وحاول...

ولكن لسانه لم يتحرَّك...

كان وكأنه قد تجمَّد فى حلقه، وأصيب بشلل تام، من فرط الرعب...

ولم يفهم ذلك المتنمِّر هذا...

كل ما فهمه بذكائه المحدود، هو أن ذلك الهش الضعيف الواقف أمامه، يأبى أن يعترف له بالقوة...

ولهذا جذبه من قميصه فى عنف، وهو يصرخ فى وجهه مكرراً:

- هل تفهم؟!

جذبته العنيفة مزَّقت أزرار القميص، وكشفت صدر الهزيل...

وعلى صدره، بدا ذلك الوشم واضحاً...

وشم لقطة وديعة، لها عينان واسعتان جميلتان...

وعلى الرغم من محاولة الهزيل إخفاء الوشم، كانت لدى المتنمِّر الضخم فرصة كبيرة لرؤيته...

فى البداية، ارتسمت فى عينيه وملامحه الدهشة...

ثم، وبسرعة، تحوَّل هذا إلى ضحكة ساخرة متفجرة، وهو يهتف:

- قطة؟!... وشم قطة؟!.

غمغم الهزيل فى صعوبة:

- لا شأن لك بهذا.

ولكن المتنمِّر كررَّ، فى سخرية لاذعة:

- حتى الوشم الذى تضعه وشم قطة.

قهقه على نحو، جذب إليه كل الموجودين فى ساحة الكلية تقريباً، فالتفوا حولهما، فى حين أزاح هو ذراع الهزيل فى قوة؛ ليبدو الوشم واضحاً للكل:

- انظروا ... وشم قطة... هذا الفأر وضع على صدره وشم قطة.

كل من رأى الوشم انفجر ضاحكاً بدوره...

ومن حوله، ارتسمت دائرة كبيرة من الضحك...

والسخرية...

والتعليقات اللذعة المهينة...

وانكمش هو فى مكانه...

انكمش، وهو يشعر بغضب كبير...

وهو أضعف من أن يواجه هذا...

أضعف كثيراً...

"جدى هو الذى منحنى إياه..."...

قالها فى تخاذل منكمش، وهو يحاول السيطرة على غضبه وضعفه، فقهقه المتنمِّر فى قوة أكثر، وهو يهتف:

- حتى جده كان يعلم أنه فأر.

قهقه هو وكل المحيطين به، عقب هتافه الأخير، فى حين انكمش الهزيل

Looloo
www.looloolibrary.com

أكثر، محاولاً إخفاء وشمه بيده...

"هذا الوشم سيحميك طيلة عمرك..."...

كان فى الثالثة من عمره، عندما سمع تلك العبارة من جده، فرفع عينيه إليه فى براءة:

- كيف سيحمينى يا جدى؟!

ابتسم الجد فى حنان، وهو يقول:

- عندما تحين اللحظة... سترى.

تحسَّس الوشم، الذى طبعه جده على صدره، دون أن يفهم، فى حين كشف جده صدره بدوره، وهو يتحسَّس شعره، قائلاً:

- انظر... لدى مثله.

ثم مال نحوه، مضيفاً بكل حنان:

- ولقد حمانى دوماً.

تذكَّر هذا وهو يحاول السيطرة على غضبه وضعفه...

"منذ هذه اللحظة، اسمك الذى سيناديك به الجميع، هو (قط)..."...

هذا المتنمِّر، الذى ألقى عبارته، ثم قهقه فى قوة، فتبعه الكل فى قهقهته الساخرة العالية، تجاوز كل الحدود...

ضخامته الجسدية مجرَّد صفة وراثية، لا فضل له فيها...

والمفترض أن يحمد الله سبحانه وتعالى ويشكره، على نعمة كهذه...

ولكن الشيطان استولى على عقله وقلبه تماماً...

وبدلاً من أن تكون قوته فى سبيل الخير، جعل منها أداة للشر...

"وأنت فأر"...

أفلتت العبارة من بين شفتيه، فى غضب عصبى، مع عجزه عن السيطرة على مشاعره...

ومع انفلاتها، تفجَّرت القنبلة...

قنبلة من الذهول والاستنكار، تفجَّرت فى كل العيون، وأضيف إليها شلال الغضب، الذى انهمر من عينى المتنمِّر...

ثم ساد صمت طويل...

ثقيل...

رهيب...

مهيب...

مخيف...

صمت انحبست خلاله الأنفاس...

الكل راح ينقل بصره بين المتنمِّر بجسده الضخم العملاق، والهزيل بجسده الضعيف الضئيل، فى انتظار رد الفعل...

وفى بطء وغضب، مال المتنمِّر نحو الهزيل، وهو يقول بكل شراسة:

- إلى من قلت عبارتك؟!

لم يكن هناك مجال للتراجع، لذا فقد انكمش الهزيل أكثر، وهو يغمغم فى صعوبة:

- أنت.

أطلَّت نيران الجحيم من عينى المتنمِّر، وهو ينظر إلى عينى الهزيل مباشرة، ثم اعتدل بنفس البطء، وهو يقول فى وحشية:

- بعد ساعة، فى ملعب الاسكواش.

أطلَّت من عينى الهزيل نظرة خائفة متسائلة حائرة، فعاد المتنمِّر يميل بجسده الضخم نحوه، متابعاً:

- هناك اعتدت أن أسحق خصومى، بعيداً عن أعين الشهود.

غمغم، وهو ينكمش أكثر:

Looloo
www.looloolibrary.com

- هذا غير قانونى.

ارتسمت ابتسامة ساخرة وحشية، على شفتى المتنمِّر:

- أيخشى القط المواجهة؟!

قال فى حدة، على الرغم من انكماشه:

- ما من قط يخشى مواجهة فأر.

قهقه المحيطون بهما هذه المرة، على نحو احتقن معه وجه المتنمِّر، الذى صاح فى شراسة:

- علام تقهقهون؟!

كتم الكل ضحكاتهم على الفور، وتراجعوا فى خوف واضح، فى حين اشتعلت عينا المتنمِّر، وهو يقول:

- بعد ساعة فى ملعب الاسكواش أيها القط ... داعب ذيلك الآن؛ فهى آخر مرة سيمكنك فيها هذا.

قالها، واستدار مغادراً فى حدة، فى حين بقى من يحيطون بالهزيل، وقد توَّقفت ضحكاتهم، واختفت نظرة السخرية من عيونهم، وحلَّت محلها نظرة أخرى...

نظرة أسى...

وإشفاق...

كان الكل يتوَّقع أن يطلق الهزيل ساقيه للريح، ويعدو عائداً إلى منزله...

وألا يعود إلى الكلية مرة أخرى...

ولهذا فقد أصابهم الذهول، عندما رأوه بعد ساعة واحدة، يتجه نحو ملعب الاسكواش...

حيث ينتظره المتنمِّر...

"إذن فقد أتيت؟!..."...

قالها المتنمِّر فى دهشة وحشية، وابتسم رفيقاه، اللذان لا يقلان عنه ضخامة، قبل أن يضيف:

- ولم تحضر معك شاهداً واحداً.

غمغم الهزيل:

- شاهداك يكفيان.

مال الضخم نحوه فى شراسة:

- هيئتك، عندما تخرج من هنا، ستكفى.

غمغم الهزيل، وقد بدا هادئاً، على عكس المتوقع:

- المهم أننى سأخرج من هنا.

ثم أضاف فى صرامة:

- على عكسك.

انتفض جسد المتنمِّر فى غضب ودهشة، قبل أن يلوِّح بقبضته فى الهواء، هاتفاً:

- فليكن... سأنهى هذه المواجهة بلكمة واحدة.

قبل أن تهوى قبضته، كشف الهزيل صدره...

وتوَّقفت قبضة المتنمِّر فى الهواء...

لقد اختفى الوشم...

وشم القطة...

وفى نفس اللحظة، ارتفع ذلك المواء الضخم من خلفهم، فالتفت المتنمِّر ورفيقاه، وصرخ الثلاثة فى رعب...

فعلى مسافة نصف متر منهم، كانت تقف قطة...

ولكن ليس فى حجم القطة...

كانت فى حجم ثور هائل، وعيناها تنظران إليهم مباشرة...

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى غضب، قال الهزيل:

- قلتها لك... أنت مجرَّد ... فأر.

مع آخر حروف كلمته، انقضت قطته...

وقبل أن يتحرَّك أحد، التهمت ذراع المتنمِّر، الذى أطلق صرخة عالية، وسقط أرضاً، والدماء تنزف من موضع ذراعه كالشلال...

وبكل الرعب، حاول رفيقاه الهرب، ولكن مخالب تلك القطة الهائلة ضربتهما، فطارا فى الهواء، وارتطما بجدار الملعب، والدماء تتفجَّر من صدريهما...

وبكل الرعب، صرخ المتنمِّر:

- لا... لا... ابعدها.

ولكن الهزيل لم يحَّرك ساكناً، فى حين مالت قطته، وأخرست المتنمِّر بوسيلة بسيطة...

التهمت رأسه حتى كتفيه...

نصف ساعة استغرقتها، فى التهام فرائسها الثلاث، قبل أن تلعق ما تناثر من دمائهم، ثم راحت تلعق شفتيها وجسدها فى استمتاع...

وفى هدوء، أشار الهزيل إلى صدره، فوثبت القطة، وتقلص حجمها فى سرعة، حتى صارت مجرَّد وشم على صدره...

جده كان على حق...

سيحميه وشمه دوماً...

ذلك الوشم المفترس، الذى ينطلق من عقاله، إذا ما فاض غضبه...

وهو أضعف من أن يواجه هذا...

وأضعف من أن يخفى سلاحه السرى...

الوشم.

* * *

القاتل...

رباه!!...

كيف يمكن أن يستعيد المرء ذكرياته، فى موقف كهذا؟!

كيف؟!...

أنا راقد على أرضية مكتبى، مغمض العينين، على بركة من الدم...

وأتنفس فى صعوبة...

فكيف بالله عليكم؟!...

كيف؟!..

مازلت أذكر كيف كانت البداية...

"من أنت؟!...."...

سؤال ألقيته على ذلك الرجل، الذى فوجئت به يدخل مكتبى، فى مساء اليوم، وبعد انصراف شريكى، وكل موظفى المكتب...

كان رجلاً طويل القامة، حاد القسمات، له شارب رفيع مستفز...

وكان يرتدى حلة سوداء تماماً...

ولم يجب سؤالى...

فقط وقف عند باب حجرة مكتبى، يعقد كفيه أمامه، ويتطلَّع إلى مباشرة، على نحو جعلنى أسأله مرة أخرى فى عصبية:

- من أنت؟!... وماذا تفعل هنا، فى هذه الساعة؟!

واصل صمته وتطلّعه إلىَّ لحظات، قبل أن يجيب فى صوت عميق:

- لم يكن ينبغى أن تسرق تلك الصفقة، من (عادل) باشا.

انعقد حاجباى فى شدة، وأنا أتطلعَّ إليه فى دهشة...

Looloo
www.looloolibrary.com

(عادل) باشا هذا، كما يطلقون عليه فى سوق العمل، هو أخطر منافس لشركتنا فى هذا العالم...

والصفقة، التى نجحت فى انتزاعها منه، صفقة ضخمة بحق...

صفقة تستحق أن يغضب ويثور...

"إنه عمل... وكل شئ مباح فى العمل..."...

قلتها فى صرامة، فابتسم ذلك الرجل الغامض، ورفع قدمه على أفضل مقعد لدى، وهو ينظر إلىَّ فى سخرية شرسة:

- هذا أكبر خطأ، ارتكبته فى حياتك.

تطلَّعت إليه لحظة، قبل أن أقول فى تحفز:

- فى هذه الصفقة بالذات، لم أرتكب أية أخطاء... كل شئ كان سليماً وقانونياً تماماً... (عادل) باشا عرض سعره، ونحن عرضنا سعرنا، و(المنوفى) باشا عرض سعره... وكنا نحن الأفضل.

قال فى برود:

- (المنوفى) لقى مصرعه فى حادث سيارة، قبل يوم فتح المظاريف.

قلت، فى شئ من الحدة:

- ولهذا لم يبق سوانا، و (عادل) باشا.

قال فى صرامة:

- كان ينبغى أن تنسحبوا، بعد مصرع (الفيومى).

اختلست نظرة إلى الكاميرا السرية فى أعلى الجدار، قبل أن أجيب:

- شريكى اقترح هذا، وأصرَّ عليه، دون سبب مفهوم، ولكننى رفضت بشدة.

قال فى صرامة أكثر:

- وتحديث (عادل) باشا.

شعرت بالغضب يتصاعد فى أعماقى، وأنا أهتف به:

- وما شأنك أنت؟!... دخلت مكتبى دون استئذان، بعد انصراف الموظفين، وتتحدّث عن أمور خاصة جداً... قل لى سبباً واحداً، يدفعنى لاحتمالك.

أخرج يده من جيبه، ممسكة بمسدس كبير، من طراز (سميث ويسون)، وهو يقول متحدياً:

- أهذا يكفى؟!

اختلست نظرة سريعة أخرى إلى الكاميرا السرية، قبل أن أقول فى عصبية:

- هل أتيت لهذا؟!

ابتسم ابتسامة مقيتة، وهو يقول:

- هل سمعت عن (س)؟!

كنت بالطبع قد سمعت عن (س)...

الكل سمع وقرأ عنه...

إنه قاتل محترف، من طراز لم تعرفه (مصر) من قبل...

تحقيقات الشرطة تقول: إن جرائمه توحى بأنه شديد الذكاء...

منعدم المشاعر...

سيكوباتى النزعة...

يختار ضحاياه دون نمط ثابت، وكأنه يقتل لمجرَّد القتل...

أو أنه يستمتع بالقتل...

وبالدم...

خبراء علم الجريمة قالوا: إنه ليس مجرماً أو قاتلاً تقليداً...

ولا يمكن أن ينتمى لأوساط المجرمين المعروفة...

فجرائم القتل التى ارتكبها، لم تقترن قط بالسرقة...

Looloo
www.looloolibrary.com

إنه لا يمس أى شئ مما تحمله ضحيته...

فقط يقتل...

وليس على نحو مباشر...

إنه أشبه بالقط...

ليس القتل هو هدفه الرئيسى...

ولكن الاستمتاع بالقتل هو كذلك...

ففى كل مرة، تكون ضحيتة وسط بركة من الدم...

وهذا يعنى أنها لا تموت مباشرة...

فالموت يعنى توقف القلب، وانعدام وسيلة ضخه خارج الجسد...

الدماء الغزيرة تعنى أن الضحية عانت بعض الوقت، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة...

ربما يريد أن يراها تموت...

وأن يستمتع بلحظاتها الأخيرة...

أو أنه يستعذب رؤية الدماء القانية تتدفَّق منها...

سادية عجيبة...

ربما عذَّبه أحدهم كثيراً فى طفولته...

أو فى مراهقته...

مرَّ كل هذا بذهنى فى لحظة، وكان يمكن أن يتواصل، لولا أن قطع ذلك الغامض أفكارى، وهو يقول فى حدة:

- ألم تسمع عنه؟!

غمغمت فى حذر:

- ومن لم يسمع عنه؟!

ابتسم فى زهو، وهو يلوِّح بمسدسه، قائلاً:

- هل تصوَّرت أن تلتقى به يوماً؟!

لم أجب سؤاله، وأنا أتطلَّع إليه فى صمت، فتابع مستعيداً صرامته:

- يقال إنه يستمتع بقتل ضحاياه.

غمغمت:

- هذا أكيد.

داعب المسدس فى يده لحظات، خفض خلالها عينيه، فانتهزت الفرصة؛ لأنظر مباشرة إلى الكاميرا السرية، ولكنه رفع عينيه إلىَّ فى حركة مفاجئة:

- إلى ماذا تنظر؟!

قالها فى عصبية غاضبة، فاعتدلت فى سرعة:

- لا شئ.

أدار عينيه إلى حيث كنت انظر، وهتف فى حدة:

- كاميرا سرية؟!

لم أجب هذه المرة أيضاً، فأدار فوهة مسدسه، وأطلق النار على الكاميرا الصغيرة، وأصابها بدقة تستحق الإعجاب...

كان صوت رصاصته مرتفعاً، ولكنه لم يؤثر بى كثيراً...

حتى تحطم الكاميرا السرية، لم يؤذنى كما يفترض...

شعرت أنها أدت عملها كما ينبغى....

وفى خفوت، غمغمت:

- الصوت مرتفع... شريكى قد...

قاطعنى فى حدة:

- لا تعتمد على شريكك.

تراجعت فى دهشة، فأكمل بنفس الحدة:

- شريكك هو الذى استأجرنى لأقتلك.

تراجعت مصدوماً، وأنا أهتف:

- شريكى؟!... ولكن...

Looloo
www.looloolibrary.com

قاطعنى فى عصبية:

- كان ينبغى أن تستمع إليه، عندا أصَّر على الانسحاب من الصفقة، بعد مصرع (المنوفى) ... (عادل) باشا غضب بشدة، عندما فزتما بالصفقة، وخيَّره بين أن يقتله، أو يقتلك هو.

غمغمت مصدوماً:

- شريكى!!.

قال شامتاً:

- نعم... شريكك.

لابد وأن أثر الصدمة بدا واضحاً على ملامحى، فقد صمت لحظة، قبل أن يتابع فى شماتة واضحة:

- من أين تظننى عرفت إنك ستكون وحدك هنا الليلة إذن؟!

شريكى...

نعم... شريكى هو الذى كان يعلم هذا...

أو هو الذى دفعنى إلى هذا...

المذكرة التى طلب منى إعدادها قبل الغد، كانت تضطرنى للبقاء وحدى فى المكتب، بعد انصراف كل الموظفين...

شريكى كان يعلم...

وهو الذى فعلها...

شعرت بغضب شديد، يسرى فى كيانى كله، واحتقن وجهى فى شدة، مما دعا ذلك الوغد إلى الانفجار ضاحكاً، وهو يقول:

- صدمة... أليس كذلك؟!

مرة أخرى لم أجب، فتابع، وهو يرفع مسدسه نحوى فى مقت:

- أنتم يا رجال الأعمال، تتصوَّرون أنفسكم أذكى ذئاب الأرض، ولا تتخيلون

لحظة أن تكونوا مجرَّد خراف.

تطلَّعت إليه فى مقت، دون أن أجيب، فصوَّب مسدسه نحوى، وهو يستطرد:

- كم أحب رؤية وجوهكم، عندما تخسرون... أنت ربحت تلك الصفقة، ولكنك خسرت حياتك.

"أنت كاذب..." ...

قلتها فى بطء وغضب، جعلاه يردِّدها فى دهشة:

- كاذب!!!.

قلت فى صرامة:

- (المنوفى) لم يمت فى حادث سيارة.

ابتسم فى سخرية:

- أنت لا تقرأ الصحف إذن.

أضفت، دون الالتفات لتعليقه:

- وأنت لست (س).

جذب إبرة مسدسه، وهو يقول:

- ومن أدراك.

دوت ثلاثة رصاصات متتالية فى المكتب، ورأيت جسده ينتفض فى عنف، من فرط المفاجأة والألم، وعيناه تتسعان، مع الدماء التى تدفَّقت من ثقوب الرصاصت فى بطنه...

الرصاصت التى أطلقتها عليه، من المسدس الذى كنت أحمله طوال الوقت، تحت سطح مكتبى...

شاهدته يسقط، وهو يتأوه، ومسدسه يتدحرج على الأرض مبتعداً عنه، فنهضت حاملاً مسدسى، الذى مازال الدخان يتصاعد من فوهته، وأنا أقول

Looloo
www.looloolibrary.com

مكملاً:

- لأنى أنا (س).

درت حوله، وهو يلهث، ويلفظ أنفاسه الأخيرة، وأكملت فى هدوء، والدم يصنع بركة كبيرة حوله:

- (المنوفى) لم يمت فى حادث سيارة، لأننى أنا قتلته، ووضعته فى سيارته؛ ليبدو الأمر كذلك.

شهق ثلاث مرات، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة...

كانت أوَّل مرة أقتل فيها شخصاً، كرهته بحق...

ربما لهذا فعلت ما فعلته...

رقدت على أرضية المكتب، فوق البركة التى صنعها دمه، وتلاحقت أنفاسى وتثاقلت، من فرط الانفعال والحماس...

ولكن لا ينبغى لى أن أستسلم لمشاعرى طويلاً...

ذلك الأحمق صوَّرته الكاميرا السرية وهو يهددنى، ويذكر أمر صفقة (عادل) باشا الخاسرة...

وهذا دليل براءتى، ودليل دفاعى عن نفسى بقتله...

وهو دليل على عادل (باشا) أيضاً...

ولكن هذه النقطة الأخيرة لا تهم كثيراً...

الأحمق حطم الكاميرا، حتى لا تسجل مشاهدى وأنا أقتله...

وبعد أن ينصرف رجال الشرطة، سأذهب لقتل (عادل) باشا...

أما شريكى العزيز، فسأعد له ميتة خاصة...

ميتة تليق بخائن خان شريكه...

القاتل.

* * *

مركب صيد...

احتضنت (نجوى) زوجها فى حرارة، وطبعت قبلة دافئة على خده، وهى تقول فى نعومة:

- عندما تصل إلى (إيطاليا)، اتصل بى.

ابتسم زوجها (فؤاد) ابتسامة مضطربة، وهو يغمغم:

- المهم أن أصل حياً.

طبعت قبلة أخرى على حدة، قائلة بابتسامة، حاولت أن تجعلها مشجِّعة:

- ستصل بألف سلامة بإذن الله... قبطان المركب ابن عمى (على)، ولقد أوصيته بشأنك.

قال بابتسامة مريرة:

- هذا لم يمنعه من تقاضى ألفى جنيه، نظير نقلى إلى شواطئ (إيطاليا).

ضاق حاجباها، وهى تقول:

- إنه عمله.

قال فى شئ من العصبية:

- عمل غير مشروع.

زمجرت هاتفة:

- ولكنه عمل.

زفر فى عصبية وتوتر، وهو يتطلَّع إليها...

جميلة رقيقة وناعمة هى...

كم كان محظوظاً حينما تزوَّجها...

Looloo
www.looloolibrary.com

كل شبان الحى كانوا يتنافسون لنيل رضاها...

ولكن هو وحده فاز بها...

والده رحمه الله، كان صديقاً حميماً لوالدها، مما جعله يسعى لزواجه بها...

وقد كان...

ولقد اعتبر نفسه محظوظاً، وهو يجلس إلى جوارها ليلة الزفاف...

وشعر أنه فى الجنة، عندما ضمتهما غرفة واحدة...

ولقد انبهر بها، وأحبها بجنون...

ولكن العكس لم يكن صحيحاً...

منذ الليلة الأولى، لم يشعر بشئ من الحب منها تجاهه...

وحتى هذه اللحظة، لم يشعر بهذا أبداً...

كانت تؤدى كل واجباتها كزوجة، دون شكوى أو تذمُّر...

ولكن بدافع الواجب...

فقط الواجب...

وليس أبداً بدافع الحب...

عام كامل قضاه معها، لم يشعر فيه بحبها أبداً...

ولقد سعى لنيل هذا الحب...

وبكل وسيلة ممكنة...

غمرها بحبه...

ودفئه...

وحنانه...

وهداياه...

فعل كل ما باستطاعته...

وفشل...

لم ينل حبها أبداً...

وإنما نال ضيقها...

ضاقت به؛ لأنه متدلِّه فى حبها، خاضع إرادتها، ضعيف أمامها...

ولأنه فاشل...

فمن كثرة ما شغل نفسه بها، وأنفق مدخراته فى سبيلها، فشل فى عمله، وخسر ماله...

وعندئذ بدأت الخلافات...

حياتهما صارت جحيماً، على الرغم من كل محاولاته...

وأصابه اليأس...

والحزن...

والإحباط...

ثم كان ذلك الاقتراح...

"لماذا لا تسافر، كما يسافر الكل؟!...."...

طرحت عليه السؤال ذات ليلة، بعد مناقشة عن ضيق ذات الحال، وقلة الدخل...

وفى إحباط، غمغم:

- السفر ليس سهلاً.

قالت فى حدة:

- جارنا سافر، وابن جارتنا سافر، وحتى شقيق صاحب متجر البقالة سافر...

غمغم فى يأس:

- يدى على كتفك.

Looloo
www.looloolibrary.com

صمتت بضع لحظات مفكرة، ثم قالت فى حماس:

- ابن عمى (على).

توتر عندما سمع اسم (على)، وقال فى حدة:

- ما شأنه.

قالت فى حماس:

- اعتاد نقل الشباب من هنا، إلى سواحل (إيطاليا).

قال فى عصبية:

- تقصدين أنه يقوم بتهريبهم.

انعقد حاجباها، وهى تقول:

- المهم أنهم يرسلون الأموال إلى عائلاتهم هنا... (ناجى) ابن عم (حسين)، أرسل لوالده ما ابتاع به فدانين من الأرض، و(ثروت) ابن (عبد الحكيم)، ارسل لوالده ثمن سيارة أجرة، و...

هتف بها:

- كفى.

قالت فى حزم:

- سأتصل بـ(على) صباحاً.

ضاق كثيراً بالأمر...

ولكنه لم يعترض...

وحتى لم يناقش...

فمشاعره نحو (على) بالذات سلبية للغاية...

لأن الكل يقول: إن علاقة عاطفية، كانت تجمعه بزوجته (نجوى)...

سمع هذا كثيراً...

وتجاهله...

وتحاشى (على) هذا منذ زواجه...

وها هى ذى تذكر اسمه...

وتذكر أنه يحمل الحل فى يده....

وهو عاجز من الاعتراض...

فالواقع أنه، وعلى الرغم من كراهيته هذا، ليس لديه سوى هذا الأمل... السفر...

وليس هناك من سبيل آمن، سوى مع (على)...

"سننطلق الآن...."...

قالها (على) فى حزم، فابتعدت عنه زوجته (نجوى)، قائلة:

- لا تنس... اتصل فور وصولك.

لوَّح لها بيده، فى حين جذبه (على) نحو مركب الصيد، الذى يرسو بالقرب منهم، و(نجوى) تهتف به:

- احرص عليه جيداً يا (على).

قال (على) فى صرامة:

- وعدتك أن أفعل.

تحَّرك مركب الصيد، ولوَّح لها تلويحة أخيرة، قبل أن يبتلعهم الظلام...

وفى ركن مركب الصيد، انكمش على نفسه، حتى جاء (على)، وجلس إلى جواره، يسأله:

- ماذا يقلقك؟!

غمغم متوتراً:

- يقولون أنك تنزل المسافرين بالقرب من الشاطئ، وتتركهم يسبحون باقى المسافة.

قال (على) فى هدوء:

Looloo
www.looloolibrary.com

- هذا صحيح.

تراجع فى هلع:

- هل يعنى هذا أننى سأسبح؟!

ابتسم (على) ابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- اطمئن... لن تسبح.

تساءل فى حذر متوتر:

- وكيف هذا؟!

مال (على) نحوه، هامساً:

- (نجوى) أوصتنى عليك ... ولقد وضعت لك ترتيباً خاصاً.

تساءل فى حذر أكثر:

- وكيف سيكون؟!

اتسعت ابتسامة (على)، وهو يقول:

- لا تقلق نفسك ... اطمئن.

قالها، ثم نهض ليمارس شئونه، كقبطان مركب صيد غير شرعى، وتراجع هو مستنداً إلى سور المركب، وهو يفكر فى عمق....

(على) يعامله بمنتهى الود، وعلى الرغم من هذا، لا يستطيع منع نفسه من كراهيته... إنه يعتبره سبباً رئيسياً لعجز (نجوى) عن حبه...

وكم يتمنى الخلاص منه...

برزت الفكرة فى ذهنه فجأة، وهو يتطلَّع إلى (على)...

ماذا لو انفرد به، على سطح مركب الصيد؟!...

ظلام الليل سيخفى كل ما يفعله به...

تحسَّس قطعة معدنية كبيرة إلى جواره، وراح يرسم خطته...

فكل لحظة وأخرى، يأتى (على) للاطمئنان عليه...

وفى موقعهما، يكونان معزولين تماماً عن باقى المركب...

وكل ما يحتاجه هو أن يهوى على رأسه بقطعة المعدن، ثم يرميه من حاجز المركب...

ومع غيبوبته، سيبتلعه البحر فى لحظات...

وسيتخَّلص منه...

وإلى الأبد...

"استعدوا... لقد اقتربنا...."...

قالها على، وهو يتحَّرك على سطح مركب الصيد فى نشاط، فنهض الجميع، وحملو حقائبهم، التى وضعوها داخل أجولة من البلاستيك؛ حتى لا يتسَّرب إليها الماء، وارتدوا سترات الهواء، واستعدوا للقفز فى الماء، عندما لاحت أضواء شواطئ (إيطاليا)، فى حين اقترب منه (على)، وهمس فى أذنه:

- انتظر انت.

تحسَّس قطعة المعدن الثقيلة، وهو يهمس:

- سنبقى معاً هنا.

ابتسم (على)، وهو يهمس:

- أخبرتك أننى أعددت لك وسيلة خاصة.

أمسك قطعة المعدن فى حذر، وهو يتابع رفاقه، الذين قفزوا فى الماء، يعاونهم البحارة، وبدأوا السباحة نحو سواحل (إيطاليا)، فى حين أولاه (على) ظهره، يتابع الموقف مثله...

وبكل قوته، أمسك قطعة المعدن، و...

"ماذا حدث؟!..."...

ألقت (نجوى) السؤال، وهى تمسح دموعها، فأتاها الجواب هادئاً:

- الضربة شجت رأسه، فربطت قدميه فى قطعة الحديد الثقيلة، وألقيته

Looloo
www.looloolibrary.com

فى البحر.

قالت باكية:

- مسكين!

أتاها الجواب عصبياً:

- كان يحول بينى وبينك، واستحق القتل.

مسحت دموعها، وهى تسأل:

- وكيف سنبرِّر الأمر للناس؟!

هزَّ كتفيه مجيباً:

- لقد أصابه ما يصيب الكثيرين... غرق وهو يحاول الوصول سباحة لساحل (إيطاليا).

ثم احتواها على بين ذراعيه، مستطرداً:

- وبعد انقضاء العدة سنتزوَّج، كما خططنا مسبقاً.

تملَّصت منه فى نعومة:

- ولكننى سجلت كل قلته.

سألها فى توتر:

- ماذا تعنين؟!

انغرز خنجرها فى قلبه، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وحدَّق فيها فى ألم وذهول، وهى تبتعد عنه، مضيفة:

- قتلت زوجى، وأتيت للاعتداء علىَّ، فدافعت عن نفسى ... وقتلتك.

سقط على ركبتيه، وهو يقول ذاهلاً مصدوماً:

- أنت يا (نجوى)!

راقبته فى صمت، حتى انهار جثة هامدة، ثم طلبت رقماً سريعاً، وقالت:

- الخطة سارت كما خططنا يا حبيبى ... كلاهما لقى مصرعه، وبعد

انقضاء العدة، سأبتاع لك مركب الصيد، الذى كنت تحلم به، فى نفس ليلة زفافنا... انتظرك على نار.

وأنهت المحادثة، وهى تلتقط نفساً عميقاً، قبل أن تطلب رقم الشرطة، وتلقى بلاغها، وهى تبكى فى حرارة...

صادقة.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الظلام...

إرهاق شديد، ذلك الذى شعرت به (نهى)، وهى تستيقظ فى ذلك

الصباح...

إرهاق شمل جسدها كله...

وكيانها كله...

كل خلية فى جسدها كانت تشعر بالإرهاق...

حتى عقلها...

وذهنها..

تثاءبت فى صعوبة، وانقلبت على جانبها، واضعة كفيها تحت خدها الأيسر، وهى تستعيد ذلك الكابوس الرهيب، الذى حرمها النوم، وكان سبباً لما تشعر به من إرهاق...

لقد رأت نفسها فى كابوسها، وهى تسير وسط غابة مخيفة...

غابة تشابكت أغصان أشجارها، على نحو عجيب...

وكل الأغصان وفروعها، كانت تمتلئ بالأشواك...

أشواك حادة مدببة...

وضوء خافت مخيف، ينبعث فى مكان بعيد...

بعيد للغاية...

والأرض مغطاة بأوراق الشجر الميتة...

وببقايا أغصان...

وأشواك...

وعندما خطت خطوتها الأولى، كادت تصرخ من الألم...

فبقايا الأغصان مازالت تحتفظ بأشواكها...

لم يكن ينبغى أن تتحرك، خاصة وقد انتبهت فجأة إلى أنها حافية القدمين...

وأنها ترتدى ملابس النوم...

وفى ذهنها، فكرت فى أنه من الأفضل أن تظل فى مكانها...

ولكن تلك الأنفاس المخيفة كانت تتردد من خلفها...

أنفاس أشبه بمزيج من أنفاس ذئب جائع، وزمجرة دب مفترس، وفحيح أفعى سامة...

لم تكن تدرى من أين تأتى تلك الأنفاس!!...

ولم تجرؤ على الالتفات لرؤية مصدرها...

ولكنها كانت تقترب من خلفها...

وتقترب..

وتقترب...

وهذا لا يترك لها سوى قرار واحد...

أن تتقدم إلى الأمام...

فوق الأشواك الحادة...

ومع اقتراب تلك الأنفاس، تحركت...

ووخزتها الأشواك...

ولكنها سارت...

وتعذبت...

وتألمت...

والأسوأ أن الإضاءة راحت تنخفض...

Looloo
www.looloolibrary.com

وتنخفض...

وزاد هذا من رعبها وفزعها...

وزاد من سرعتها...

وآلامها...

وعذابها...

ومع انخفاض الإضاءة، صارت الرؤية شبه معدومة، وتلك الأنفاس تقترب أكثر...

وأكثر...

وأكثر...

وأكثر...

ثم أظلمت الدنيا تماماً...

وارتطم جسدها بأشواك الأغصان الحية...

وتضاعف الألم عشرات المرات...

ومن خلفها، اقتربت تلك الأنفاس المخيفة، وامتزجت بأنفاسها اللاهثة المذعورة...

ثم تحوَّلت الأنفاس المخيفة إلى صرخة وحشية...

وشعرت بشئ ينقض عليها وسط الظلام...

وانتفض جسدها...

وصرخت...

واستيقظت...

وعندما فتحت عينيها، انتفض جسدها مرة أخرى...

فقد كان الظلام يسود المكان...

تحسَّست بيدها الطريق إلى زر المصباح المجاور للفراش، وإضاءته وهى

ترتجف، فظهرت أمامها ملامح حجرتها المألوفة...

وتنفَّست (نهى) الصعداء...

وحاولت أن تسترخى...

حاولت..

وحاولت...

وحاولت...

ولكن الأمر لم يكن هيناً...

الكابوس كان قد ترك أثره فى جسدها، الذى لم يتوقف عن الارتجاف...

واستغرق الأمر منها قرابة نصف الساعة، قبل أن يستسلم عقلها للنوم مرة أخرى...

نفس الغابة...

ونفس الضوء الخافت...

ونفس الأنفاس المخيفة من خلفها...

ونفس الرعب...

والألم..

والعذاب...

الفارق الوحيد هذه المرة، هو أنها رأت أمامها، على الرغم من الضوء الخافت، ممراً واضحاً، وسط الأغصان المتشابكة...

وبكل رعبها، اتجهت نحو ذلك الممر..

لم تكن تدرى إلى أين يقودها...

ولكنه كان السبيل أمامها..

السبيل الوحيد...

اتجهت نحوه بقدميها الحافيتين..

Looloo
www.looloolibrary.com

داست على الأشواك، وتحمَّلت الألم والعذاب، والضوء يزداد خفوتاً، والأنفاس المخيفة تقترب...

و...

وفجأة، وعلى الضوء شديد الخفوت، لمحت ذلك الباب، فى نهاية الممر...

باب مألوف...

باب تراه كل ليلة...

باب يحمل نجمة ذهبية، وضعتها بنفسها، منذ أكثر من عشرة أعوام...

إنه باب حجرة نومها...

آه... هذا هو المخرج حتماً...

ذلك الباب هو رمز لخروجها من ذلك الكابوس...

لو أنها بلغته، وفتحته، ستخرج من كابوسها...

مع الفكرة، زادت من سرعتها، وسالت الدماء من قدميها، من فرط جروح الأشواك الحادة...

وتزايد الضوء خفوتاً...

واقتربت الأنفاس الوحشية...

ولكن الباب اقترب...

لم يعد يفصلها عنه سوى متر أو مترين...

ولكن الظلام ساد فجأة، وانعدمت الرؤية تماماً، وانتفض جسدها...

وانقض عليها ذلك الشئ المخيف...

واستيقظت...

استيقظت لاهثة، شاحبة الوجه، زائغة العينين...

وبسرعة، أضاءت المصباح، وحدقت فى حجرتها، وكأنما تتيَّقن من أنها مازالت داخلها بالفعل...

لماذا ذلك الكابوس الرهيب؟!...

أهو بسبب وجبة تناولتها؟!...

ولكنها لا تتناول أية وجبات، بعد السابعة مساءً...

ولو فعلت، فهى دوماً وجبة خفيفة...

فلماذا هذا الكابوس؟!...

فتحت درجاً مجاوراً للفراش، والتقطت منه قرصاً مهدئاً للأعصاب، ثم عادت ترقد على فراشها، وهى تخشى أن تنام...

تخشى أن يهاجمها الكابوس مرة أخرى...

تخشى هذا بشدة...

عقارب الساعة كانت تشير إلى الثالثة صباحاً، ولكنها قرَّرت أن تظل مستيقظة حتى الصباح...

سيصيبها هذا بالإرهاق حتماً...

ولكنه أفضل ألف مرة من كابوسها...

جلست على فراشها، وحاولت أن تنشغل بأى شئ، يمنعها من النوم، إلا أن جفنيها تثاقلا، ورأسها دار، وراحت تقاوم النوم فى استماتة...

وعلى الرغم من هذا، فقد استسلمت للنوم...

ها هو ذا اباب حجرتها يبدو واضحاً، فى نهاية الممر...

ولكن المسافة بينها وبينه صارت أبعد...

والأشواك صارت أكثر حدة...

والأنفاس المخيفة صارت أكثر وحشية...

ولكنه المخرج الوحيد...

احتملت كل الألم والعذاب، واندفعت نحو الباب...

ها هو ذا يقترب...

Looloo
www.looloolibrary.com

وها هى ذى تبلغه...

وفى لهفة، مدّت يدها نحو أكرة الباب...

ولكن الظلام الدامس أحاط بها مرة أخرى...

وانقض ذلك الشئ من خلفها...

وصرخت...

وانتفضت...

واستيقظت...

فى هذه المرة، لم تحتمل البقاء فى الفراش...

لم تعد تحتمل النوم، بأى حال من الأحوال...

ولهذا فقد غادرت فراشها، ودسّت قدميها فى خف منزلى من الفراء، وقرّرت أن تتناول كوباً من اللبن الدافئ؛ ليساعدها على النوم...

كان المصباح المجاور للفراش يرش ضوءه فى الحجرة، واكتفت هى به، وهى تتجه نحو باب حجرتها وتفتحه، وتخطو خارج الحجرة، و...

وتوقّفت مبهوتة ذاهلة...

إنه ليس منزلها...

إنها تلك الغابة...

الغابة الرهيبة المخيفة، بأغصانها المتشابكة، وأشواكها المؤلمة...

أهى مازالت نائمة، أم...

قبل أن تتم عبارتها، سمعت صوت باب حجرتها يغلق من خلفها بصوت مسموع، جعلها ترتجف، ثم تنتفض فى عنف، مع ارتفاع صوت تلك الأنفاس الرهيبة...

قرصت ذراعها، فشعرت بالألم، الذى ثبت لها أنها لا تحلم، ولا تعيش كابوساً، فصرخت:

- ماذا يحدث لى؟!

ومع صرختها، حل الظلام الدامس فجأة.

وانقض ذلك الشئ من خلفا، وهو يطلق زمجرة وحشية رهيب، و..

"اختفت تماماً...."...

قالتها خادمة المنزل وهى ترتجف، فى وجهة ضابط الشرطة، الذى قال فى صرامة:

- حجرتها مغلقة من الدخل، وخالية تماماً، والمصباح المجاور للفراش مضاء، ولكن لا أثر للسيدة (نهى).

وصت لحظة، ثم أضاف، فى عصبية متوتر:

- الناس لا تختفى هكذا، دون أن تترك أثراً.

غمغم فتى المعمل الجنائى:

ولا توجد أية دلائل على وجود مقاومة.

شحب وجه الخادمة، وهى تقول:

- أقسم أننى لم أجدها... إنها مصابة بمرض فى عمودها الفقرى، يجعلها تشعر بالألم مع سيرها، ولقد وضعتها فى الفراش مساء أمس، وفى الصباح، رحت أطرق الباب، الذى لم تعتد إغلاقه من الداخل، فلما لم تستجب، أبلغتكم.

كرّر الضابط فى عصبية:

- ولكن الناس لا تختفى هكذا.

غمغم فتى المعمل:

- ربما اختطفها أحدهم... أمس كان ليلة غاب فيها القمر، وساد ظلام دامس غير طبيعى، وربما...

قاطعه الضابط فى صرامة عصبية:

- الظلام؟!.. أى كلام عبثى هذا يا رجل... من فى مثل عمرنا يمكن أن يخشى

Looloo
www.looloolibrary.com

الظلام؟!.. وما الذى يمكن أن يفعله الظلام... هل يمكنك أن تجيبنى؟!

ولم يجبه فتى المعمل...

فقط اكتفى بابتسامة شاحبة، وهو يتساءل فى أعماقه:

- نعم.... من فى مثل عمريهما، يمكن أن يخشى الظلام؟!

وأى شئ يمكن أن يفعله مجرَّد ظلام؟!...

أى شئ؟!.

* * *

السفاح...

أخيراً وقع فى أيدينا...

شعور عجيب، ذلك الذى سرى فى كيانى كله، وأنا أراه يجلس أمامى، فى حجرة مكتبى، ومعصماه محاطان بأغلال فولاذية قوية...

أشهر طويلة وهو يرتكب جرائمه الوحشية...

بلا رحمة...

أو شفقة...

أو حتى ذرة من المشاعر...

وفى براعة مذهلة، على الرغم من كراهيتى الاعتراف بهذا...

فكل من قتلهم، من كبار رجال الاعمال...

وكبار السياسيين...

والمشاهير...

وكلهم من ذوى الفكر والرأى...

كان كأى قاتل متسلسل، يختار ضحاياه دوماً من نمط بعينه...

ولم يكن من العسير تحديد نمطه هذه المرة...

فكل من قتلهم من أصحاب الرأى الحر...

لا أحد منهم ينتمى إلى حزب...

أو جماعة...

أو حتى رابطة...

وبعد أن حددنا نمطه، فرضنا حراسة مشدَّدة على كل المستهدفين المرشحين...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن ذلك لم يمنعه...

لقد واصل عمليات القتل...

دون أن يترك أدنى أثر...

ودون أن تعرف كيف دخل...

أو كيف خرج...

ولكن آخر جرائمه بالتحديد، هى ما أصابنا جميعاً بالذهول...

فالمستهدف للقتل كان سياسياً شهيراً، يقيم فى فيلا شديدة الحراسة...

ولقد ضاعفنا هذه الحراسة من جانبنا...

حتى حجرته الشخصية، وضعنا ضابطاً وليس جندياً على بابها، وآخر عند نافذتها الوحيدة، وثالث فى الممر، ورابع عند مدخل الحديقة...

هذا بالإضافة إلى كاميرات تصوير فى كل ركن...

داخل وخارج الفيلا...

ثم انقطع التيار الكهربى لحظة...

لحظة واحدة وليس أكثر...

لحظة سمعنا فيها صرخة السياسى...

ثم عاد التيار الكهربى...

وكان السياسى قتيلاً، مذبوحاً، متسع العينين فى رعب هائل...

وأصابنا الذهول جميعاً...

لقد فتشنا الفيلا ثلاث مرات، من سطحها وحتى بدرومها...

وراجعنا كل ما صوَّرته الكاميرات...

والمعمل الجنائى قضى يومين فى فحص كل سنتيمتر من الفيلا...

ولم نصل إلى شئ...

أى شئ...

هذه الحادثة جعلت حتى بعض الضباط، من ذوى الرتب الكبيرة، يميلون إلى الاعتقاد بأن الرجل ليس بشرياً...

بل عفريت...

وعلى الرغم من سخافة الفكرة، فقد انتشرت على نحو عجيب...

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد؛ إزاحة هذه الفكرة الحمقاء من الأذهان...

أن نلقى القبض عليه...

وبأقصى سرعة...

ولقد بذلنا جهداً رهيباً حتى حددنا هدفه التالى...

وقمنا بعمل ضعف احتياطات المرة السابقة...

أضواء كاشفة قوية...

كاميرات فى كل ركن...

وكل زاوية...

وكل ممر....

وحتى كل حجرة...

فرقة كاملة من الجنود والضباط فى كل مكان...

وفى هذه المرة حدثت المعجزة...

وسقط السفاح...

ولم نصدِّق أنفسنا...

ليس فقط لأنه سقط أخيراً فى أيدينا...

ولكن أيضاً لأنه سقط فى سهولة كبيرة...

أسهل بكثير مما كنا نتصوَّر...

وها هو ذا أخيراً يجلس أمامى، فى زى أسود، بلون ليلة غاب فيها القمر،

Looloo
www.looloolibrary.com

ويبدو هادئاً متماسكاً، حتى أننى أزعم أننى قد لمحت شبح ابتسامة ظافرة، عند ركن شفتيه..

ابتسامة ظافرة؟!...

ياله من قول، يستحيل أن ينطبق على سفاح، سقط فى قبضة الشرطة...

"لقد أتعبتنا كثيراً...."...

قلتها فى صرامة، وأنا أشير إليه، فابتسم فى استهزاء، وهو يجيب فى هدوء:

- أمر طبيعى.

انعقد حاجباى، وأنا أقول فى صرامة:

- أنت شخص مريض.

فوجئت به يطلق ضحكة ساخرة عالية طويلة، قبل أن يقول:

- وحدى المريض؟!.

ملت نحوه أسأله:

- ماذا تعنى بهذا؟!

أطلق ضحكة ساخرة أخرى، وقال فى هدوء:

- كل البشر مرضى يا رجل.... سل المختلين النفسيين، وسيخبرونك هذا.

تراجعت مغمغماً فى حيرة:

- المختلين النفسيين؟!

قهقه على نحو عجيب، مجيباً:

- قصدت بهذا أطباؤكم النفسيين.

غلغلت فى دهشة:

- أطباؤنا؟!

لمرة أخرى، كرَّر قهقهته العالية المجنونة، على نحو جعلنى أوقن من أنه

مختل نفسياً...

ولم يرق لى هذا أبداً...

فلو ثبت أنه مختل بالفعل، فسيعفيه هذا من العقاب، بعد كل ما فعله...

وهذا ليس عدلاً...

على الإطلاق...

"لا... لست مختلاً..."...

انتفض جسدى مع قوله هذا، وقد بدا لى أنه يقرأ أفكارى، فقهقه ضاحكاً مرة أخرى، على نحو أوضح أنه قد لمح انتفاضتى، فهتفت مستثمراً توتري:

- كيف فعلتها؟!

هزَّ كتفيه، مجيباً:

- بكل سهولة.

قلت، دافعاً بعض الصرامة إلى صوتى:

- كنا نحاصر المكان تماماً.

مطَّ شفتيه، وقال فى هدوء:

- ما من حصار على الأرض، يمنعنى من الوصول إلى ما أريد.

قلت، مضاعفاً صرامتى:

- كيف وصلت إلى السياسى إذن؟!

نظر فى عينىَّ مباشرة، على نحو أثار شيئاً من الخوف فى نفسى....

لقد بدا لى وكأن عيناه تغوصان فى أعمق أعماقى...

وتغوصان...

وتغوصان...

حتى تصلان إلى تلافيف مخى...

ومرة أخرى، انتفض جسدى، فالتمعت عيناه، وهو يقول:

Looloo
www.looloolibrary.com

- عبر الزمان والمكان.

قلت بكل الدهشة والحذر:

- ماذا؟!

أجابنى بقهقهته المستفزة، قبل أن يقول:

- ما خلفيتك العلمية ايها الضابط؟!

حاولت أن أكون صارماً، وأنا أقول:

- وما شأنك بهذا؟!...

ولكن لهجتى لم تخرج صارمة....

أو حتى قوية...

لقد خرجت مضطربة...

مرتجفة...

خافتة...

وابتسم هو، مع التماعة عينيه...

المزيج من الابتسام والتماعة العينين، استفز مشاعرى فى شدة، وجعلنى أقول له فى غضب:

- لست ماهراً كما تتصوَّر.

قال فى استهزاء:

- حقاً؟!

أجبته فى حدة:

- لا تنس أنك قد سقطت فى قبضتنا فى النهاية.

صمت لحظة بعد عبارتى هذه، ثم انفجر فجأة ضاحكاً...

وكانت ضحكته ساخرة...

للغاية...

وشعرت بالغضب أكثر وأكثر، حتى أننى صرخت به:

- هل تستطيع إنكار هذا؟!

توَّقف عن الضحك دفعة واحدة، وتطلَّع إلى عينىَّ مرة ثانية...

وفى هذه المرة، كانت نظراته صارمة...

عنيفة...

قاسية...

وحشية...

ثم قال فجأة، فى صرامة شديدة:

- لقد ألقيتم القبض علىَّ؛ لأننى أردت أن تفعلوا.

غضبت لعبارته المستكبرة هذه، فصحت به:

- كاذب ومغرور.

لم أدر ماذا أصابنى، عقب قولى هذا!!....

هل أصابنى الجنون؟!...

أم فقدت الوعى؟!..

أم ماذا؟!...

ولكن ذلك السفاح اختفى من أمامى فجأة...

ثم ظهر إلى جوارى، على بعد سنتيمترات فقط منى...

وكان حراً...

بلا قيود...

وكانت عيناه تلتمعان بمنتهى الشدة، وهو يقول:

- لو أنه لديك خلفية علمية، لأمكنك أن تفهم.

تراجعت كالمصعوق، صارخاً:

- كيف فعلتها؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

التمعت عيناه أكثر، وهو يطلق ضحكة قصيرة، قبل أن يتجه نحو جدار الحجرة، فصرخت بكل قوتى، محاولاً انتزع نفسى من ذهول، أنادى الضباط والجنود من الخارج...

ولم يوقفه هذا...

سمعت وقع أقدامهم تعدو نحو المكان، فى نفس الوقت الذى وصل فيه إلى الجدار، ثم استدار إلىّ، والتمعت عيناه أكثر...

وأطلق ضحكة...

ضحكة قصيرة ساخرة...

ثم عبر الحائط...

نعم... عبر الحائط، وكأن أحدهما لا وجود له...

هو....

أو الحائط...

وعندما اقتحم الضباط والجنود مكتبى، كنت جامداً على مقعدى، والذهول والرعب مرتسمان على وجهى بأقصى وأقسى ملامحهما...

وجن جنون الجميع...

وتم تفتيش مديرية الأمن كلها شبراً شبر...

وكل المنطقة المحيطة بها...

ولم يكن هناك تفسير واحد لاختفاء السفاح...

وبالنسبة لى، لم أذكر ما حدث فى تقريرى الرسمى، حتى لا أتهم بالخرف والجنون...

ولكننى، ومنذ ذلك الحين أتساءل: متى سيعود لارتكاب جرائمه...

ولم أعد أذوق طعم النوم، مع سؤال آخر، كاد يقودنى إلى الجنون...

ترى هل سيحين دورى على قائمته يوماً...

هل؟!.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

أراكنوفوبيا...

"(ليلى)... (ليلى)... أسرعى..."...

انتفض جسد (ليلى)، مع هذا النداء العصبى المذعور، من زوجها (خالد)، وأسرعت تعدو إليه فى حجرة مكتبه، وما أن دخلتها، حتى وجدته منكمشاً فى مقعده، وعيناه متسعتان عن آخرهما فى رعب، وهو يشير إلى ركن قريب، صارخاً:

- اقتليه... اقتلى هذا الوحش.

استدارت بسرعة إلى حيث يشير، وزفرت فى عصبية، وهى تقول فى غضب:

- (خالد)... إنه مجرَّد عنكبوت صغير.

صاح، وهو يرتعد فى شدة:

- اقتليه... اقتليه.

خلعت فردة شبشبها المنزلى، وهوت بنعله على العنكبوت الصغير، فسحقته سحقاً، وهى تقول فى عصبية:

- لا يمكن أن يستمر هذا يا (خالد)... لابد وأن تراجع طبيباً نفسياً جيداً.

كان وجهه شاحباً، والعرق يغمره، وهو يقول:

- ما رأيك أنت؟!

اتسعت عيناه، وهو يحدِّق فى العنكبوت المسحوق، ثم أشاح بوجهه فى سرعة، هاتفاً:

- تخلصى منه... تخلصى منه.

هزَّت رأسها بنفاد صبر، واتجهت نحو المطبخ؛ لتتخلَّص من العنكبوت

الصريع فى صندوق القمامة، ثم عادت إليه، وجلست أمامه، وهى تقول، محاولة ترقيق صوتها ولهجتها:

- (خالد)... حياتنا لا يمكن أن تستمر على هذا النحو.

انعقد حاجباه، وقال متحاشياً النظر إليها:

- ماذا تريدين يا (ليلى)؟!

التقطت نفساً عميقاً، فى محاولة للحفاظ على رقة صوتها ولهجتها، وهى تجيب:

- مشكلة الخوف من العناكب هذه، لا يمكن أن تستمر... كل المنازل بها عناكب.

غمغم فى عصبية:

- ليس المنازل النظيفة.

انفلت غضبها، وهى تقول:

- كل المنازل.

ثم تراجعت، مستعيدة سيطرتها على أعصابها، وهى تقول:

- لقد قرأت الكثير عن حالتك هذه... اسمها العلمى (أراكنوفوبيا)، وهى تعود إلى مشكلة فى الطفولة، أو...

قاطعها فى حدة:

- لا شأن لى بهذا.

قالت فى إصرار:

- وعلاجها ممكن، طبياً ونفسياً.

ازدادت حدته، وهو يقول:

- لا شأن لى بهذا.

نهضت واقفة، وهى تقول فى صرامة:

Looloo
www.looloolibrary.com

- (خالد).... لابد وأن تذهب إلى طبيب نفسانى.

هتف:

- لن أذهب.

صرخت، وقد انفلتت أعصابها:

- لابد يا خالد.... لابد.

صاح بها:

- ولماذا لابد؟!

تراجعت، وكانما فاجأها السؤال، ثم عقدت ساعديها أمام صدرها، قائلة:

- لأن هذا ليس ما كنت أحلم به، عندما فكّرت فى الزواج.

وبدأت الدموع تنساب من عينيها، وهى تكمل:

- كنت أحلم بالزواج من فارس مغوار، كما تحلم كل بنت.... فارس أشعر معه بالأمان والحماية.

أشاح بوجهه أكثر، بعيداً عنها، وهو يقول فى حدة:

- أخطأت بزواجك منى إذن.

صمتت لحظات، ثم اومأت برأسها، مغمغمة:

- هذا صحيح.

هتف فى عصبية:

- ولا تحاولى طلب الطلاق.... سأستعين بأكبر المحامين؛ لضمان عدم حصولك عليه.

غمغمت فى مقت:

- تستطيع أن تفعل بالطبع؛ لأنك تملك الثروة والنفوذ... أما أنا...

لم تكمل العبارة، متفية بدمعة ساخنة، انحدرت على خدها، وهو يقول فى صرامة عصبية:

- واهتمى أكثر بالنظافة... لا أريد رؤية أى عنكبوت هنا... هل تفهمين.

غادرت حجرة مكتبه، وهى تغمغم بلهجة باكية:

- أعلم...

ولقد نفذت أوامره بمنتهى الدقة...

وعلى الرغم من رفضه التام لاستئجار خادمة نظافة، لم ير (خالد) عنكبوتاً واحداً فى المنزل، خلال شهر كامل...

وفى نهاية هذا الشهر، حان موعد عيد زواجهما...

ولقد بدت (ليلى) شديدة الاهتمام بهذه المناسبة...

أعدّت عشاءاً جيداً، وزيّنت حجرة نومهما، وارتدت ثوباً شديد الأناقة، يميل إلى الإغراء، وحرصت على أن تعد له مشروبه المفضّل، الذى أتت له به، فى كأس خاص، طبعت عليه تاريخ زواجهما، ووضعت الشموع على المائدة، مع باقة من الزهور...

وبكل الدهشة، استقبل (خالد) هذا...

وعلى الرغم من دهشته، أسعده الموقف كله كثيراً...

وعلى مائدة العشاء، ومع ضوء الشموع، سألها:

- ترى ما سر كل هذا؟!

أجابته فى سعادة واضحة:

- اليوم مناسبة خاصة جداً.

ابتسم ابتسامة واسعة، وقال فى حماس:

- صدقينى.... لم أنس ذكرى عيد زواجنا أبداً.

ابتسمت بدورها ابتسامة هادئة، وهى تقول:

- إنك لم تذكره قط، طوال سنوات زواجنا الخمس.

قهقه ضاحكاً، قبل أن يجيب:

Looloo
www.looloolibrary.com

- أنت تعرفين مشكلاتى، و...

قاطعته فى رقة:

- دعنا لا نتحدث عن هذا الليلة.

ثم رفعت يدها، مكملة فى سعادة واحدة:

- فالليلة أسعد ليلة فى حياتى.

تضاعفت سعادته، حتى أنه بدا شديد المرح، وهما يتناولان طعام العشاء، وأبدى استحساناً كبيراً لما فعلته...

وبكل استمتاع، شرب مشروبه المفضل...

وفى حوالى الحادية عشرة مساءاً، رأى (ليلى) تتطلع إليه فى اهتمام، فابتسم فى تراخ، مغمغماً:

- لماذا تتطلعين إلىّ هكذا؟!

غمغمت فى اهتمام:

- تبدو لى نصف نائم.

أراد أن يشير لها بيده...

ولكنه لم يستطيع....

حاول بجدية...

ولكنه لم يفلح...

كل أطرافه بدت خدرة...

ثقيلة...

متهالكة...

حتى لسانه بدا متثاقلاً، وهو يغمغم:

- ماذا أصابنى؟!

أجابته فى هدوء:

- إنه مشروبك المفضل.

غمغم بكل صعوبة:

- ماذا وضعت به؟!

هزت كتفيها، وحافظت على ابتسامتها، وهى تقول:

- لا يمكنك أن تتصور كم المعلومات، التى يمكنك الحصول عليها، عبر شبكة الإنترنت....

لم يفهم ماذا تعنى...

ولكن لم يملك التعبير عن هذا...

أما هى، فتابعت بنفس الابتسامة:

- إنه عقار مدهش، يجعلك تفقد السيطرة على كل حركاتك وعضلاتك الإرادية، دون أن تفقد شعورك أو إحساسك بما حولك.

ثم نهضت من مكانها، واتجهت نحوه، وجلست إلى جواره، مكملة:

- هذا يعنى أنك الآن تحتفظ بكل مشاعرك وأحاسيسك، ولكنك مصاب بشلل كامل مؤقت يا زوجى العزيز.

بدأ يشعر بالقلق، وخاصة عندما مالت نحوه، تسأله بابتسامتها، التى بدت له مقيتة مستفزة:

- ألم تسأل نفسك: لماذا لم تر عنكبوتاً واحداً فى المنزل، طوال شهر كامل، على الرغم من أننا نمتلك حديقة، تجلب فى المعتاد الكثير من العناكب، من مختلف الأنواع؟!

ومالت نحوه أكثر مضيفة:

- لم يكن هذا لأنى كنت أتخلص منها فى الواقع، بل على العكس.

أطلقت ضحكة قصيرة، قبل أن تكمل:

- لقد كنت اجمعها.

Looloo
www.looloolibrary.com

تركته لحظات، اختفت خلالها فى المطبخ، ثم عادت وهى تحمل وعاءً زجاجياً كبيراً مغلقاً...

واتسعت عيناه بكل الرعب...

فالوعاء كان يمتلئ بالعناكب، من مختلف الأنواع والأحجام...

أمسكت الوعاء أمام وجهه، وهى تقول فى مرح:

- ما رأيك بمجموعتى؟!

حاول أن يصرخ...

أن يستغيث...

أن يفعل أى شئ....

ولكن ذلك العقار كان قوياً بالفعل...

وفى هدوء، لا يتناسب حتى مع شخصيتها، قالت (ليلى):

- شبكة الإنترنت تقول: إن مفعول هذا العقار يستمر لمدة ساعتين فحسب، وبعدها يتلاشى مع الأنفاس ولا يترك حتى أثراً فى الدم.

هزَّت وعاء العناكب فى هدوء، قبل أن تتابع:

- وتقول أيضاً: إن المصابين بعقدة (الأراكنوفوبيا)، يمكن أن يصابوا بأزمات قلبية قاتلة، لو حاصرتهم العناكب، فى مكان ما.

وأطلقت ضحكة أخرى، قبل أن تكمل:

- فما بالك لو تواصلت معهم مباشرة.

قالتها، وفتحت الوعاء، ثم أفرغت العناكب...

على جسد ووجه (خالد) مباشرة...

وفى هدوء شديد، اتخذت مجلسها، تتابع نظرات الرعب الشديد على وجهه، والتى استغرقت ثلاث عشرة دقيقة، قبل أن تتجمَّد نظرته، ويسكن جسده تماماً...

وهنا، وبنفس الهدوء، نهضت تحضر مكنستها الكهربائية؛ لتنظيف المكان من العناكب، ثم التقطت بعدها سماعة الهاتف، وطلبت رقم طبيب (خالد) الخاص، ولم تكد تسمع صوته، حتى هتفت، فى ذعر مفتعل:

- دكتور (طلعت)... تعال بسرعة... أرجوك... (خالد) سقط منى، أثناء احتفالنا بعيد زواجنا... لا... إنه لا يتحرَّك، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما... أسرع يا دكتور (طلعت)... أسرع بالله عليك.

أنهت المحادثة، واستعادت هدوءها، وهى تغمغم:

- لم يكن هذا ما حلمت به أو تمنيته، عندما كنت بنتاً تحلم بفارسها المنتظر.

ثم التقطت زجاجة مشروب غازى، ورفعتها فى الهواء، قائلة:

- عيد زواج سعيد يا (خالد).

واسترخت أعصابها...

أخيراً.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

البعثة ...

الثالث من يناير:

وصلنا اليوم إلى منطقة البحث، فى الصحراء الشرقية .. نحن فريق من خمسة علماء .... ثلاثة رجال وامرأتين، وكلنا متخصصون فى الجيولوجيا، وعلم طبقات الأرض ... ومعنا سبعة من الفنيين، ومندوب عن القوات الجوية المصرية ...

والسبب فى قدومنا، إلى هذه البقعة بالذات، هو ما سجله التصوير الجوى، من تغيرات عجيبة فيها ...

بعض الصور أشارت إلى تحركات غير طبيعية لكثبان الرمال ...

وبعضها رصد ما يشبه الدوامات البحرية، وسط بحر الرمال، الذى يحيط بنا، على مرمى البصر، من كل الجهات ...

والتصوير بالأشعة أشار إلى وجود فجوة، أو كهف كبير تحت الرمال ...

وفى هذه البقعة بالتحديد ...

ولهذا تم تكليفنا بالقيام بهذه البعثة ...

والهدف هو إيجاد تفسير لكل هذا ...

ومنذ أقل من نصف الساعة، انتهى نصب الخيام، وبدأ الفريق عمله بالفعل، بإعداد أجهزة الفحص، وأجهزة سبر الأغوار، وجهاز يشبه سونار الغواصات، ويمكنه كشف أية فجوات أو كهوف تحت أرضية، وتم أخذ عينات من الرمال، ويتم الآن فحصها بكل الأساليب العلمية المعروفة، وسأقوم بتسجيل النتائج أوّلاً بأول، باعتبارى رئيس البعثة ...

الرابع من يناير:

النتائج التى حصلنا عليها تربكنا بالفعل ...

ففور وصولنا، لم يشر جهاز سبر الأعماق عن وجود أية تجاويف تحت أرضية فى الموقع ...

ولكن فى المساء، سجَّل الجهاز وجود عدة تجاويف محدودة ...

المثير فى الأمر أن موقعها لم يكن ثابتاً ...

لقد كانت مواضعها تختلف كل ساعة ...

وهذا مستحيل الحدوث ...

علمياً ...

الأعجب أنه، وفى تمام منتصف الليل، اختفت تلك التجاويف تماماً !!...

ولقد عقدنا ما يشبه ندوة علمية مصغرة، فى خيمة مندوب القوات الجوية؛ للعثور على تفسير ...

وبعد حوالى الساعة، من الأحاديث والمجادلات العلمية، انتهى بنا الأمر إلى نتيجة أرضتنا جميعاً ...

أن المشكلة تكمن فى جهاز سبر الأغوار، وليس فى الأغوار نفسها ...

وعلى الرغم من أن هذا يستلزم فحص الجهاز أوّلا، إلا أن هذه النتيجة أرضتنا جميعاً، وآوينا إلى فراشنا هادئين ...

واليوم، وعندما كنا نتناول الإفطار، شكت الدكتورة (سعاد) من ضوضاء مكتومة، سلبت من عينيها النوم معظم الليل ...

ولكن أحدنا لم يسمع تلك الضوضاء ...

أو حتى يشعر بها ...

وبسرعة، فسرنا الأمر بأنه كابوس ليلى، ثم عدنا لمزاولة عملنا المعتاد ...

والساعة الآن الثانية عشرة والربع، من منتصف النهار، وجهاز سبر الأغوار،

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يسجِّل أية نتائج عجيبة ...

ولكن الفحوص المعملية سجَّلت هذا ...

فعينات الرمال كانت طبيعية، إلا من أمر واحد ...

النشاط الحيوى فيها كان أكثر من المعتاد ...

بكثير ...

جدا ...

وفحص أية رمال، عادة ما يسفر عن وجود نشاط حيوى، على نحو أو آخر ...

بقايا حشرية ...

مخلفات طيور ...

أو حتى بكتيريا نشطة ...

ولكن النشاط الذى سجَّلته التجارب المعملية، والتى تمت إعادتها خمس مرات، أشارت إلى نشاط حيوى فائق ...

نشاط لا يمكن تسجيله، إلا مع عينة من كائن حى !!!...

ولم يفهم أحدنا هذا أبدا ...

الأمر بالفعل يخالف كل القواعد العلمية ...

وعلى نحو مستفز ...

ولكننا سنعيد دراستنا، وسنبحث عن تفسير ...

فدوما هناك تفسير ما ...

دوما ...

الساعة الآن العاشرة مساء، وكنت قد توَّقفت عن التسجيل، لأعيد فحص عينات الرمال بنفسى ...

وعودتى إلى التسجيل ليست لأننى وجدت تفسيرا ...

ولكن لأن الظاهرة عادت للظهور ...

تلك الفجوات المتحرِّكة !!...

فى هذه المرة فحص الفنى المختص جهاز سبر الأغوار مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

ولكن الجهاز لم تكن به أية عيوب، وكان يعمل بكفاءة تامة ...

هناك بالفعل نوع من الفجوات تحت الأرضية، التى تتحرَّك أسفل الرمال، بعد مغيب الشمس بساعات ...

وفى حياتى كلها، لم أر شيئا كهذا ...

أو حتى أقرأ عنه ...

ولكنه يحدث ...

ومادام يحدث، فهناك حتما تفسير ما ...

وأقول حتما ...

نحن الآن بعد منتصف الليل بخمس دقائق، وكان من الضرورى أن أسجل هذا، قبل إنهاء التقرير اليومى ...

الفجوات تحت الأرضية المتحرِّكة، سلكت اليوم نفس سلوك الأمس ...

اختفت دفعة واحدة ...

وعند منتصف الليل ...

بالضبط ...

ترى هل نواجه ظاهرة رملية جديدة، لم يتم تسجيلها أو رصدها من قبل ؟!...

لو أن الأمر كذلك، فمن الضرورى أن نبذل المزيد من الجهد، حتى نكشف أسباب هذه الظاهرة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ومن يدرى، ربما نحصل بهذا على جائزة (نوبل) فى العلوم ...

أقول ربما ....

الخامس من يناير:

اعذرونى لو كانت كلماتى اليوم مضطربة ...

فما حدث أمر رهيب ...

لقد اختفت الدكتورة (سعاد) ...

حاولت زميلتها الدكتورة (فاطمة) إيقاظها فى الصباح، ولكنها وجدت خيمتها خالية، وهناك مساحة كبيرة فى منتصفها، من رمال ناعمة، من الواضح أنها قد ابتلعتها أثناء نومها ...

وكانت صدمة لنا جميعا ...

صدمة إنسانية ...

وعلمية ...

فمن المستحيل، ونحن خمسة من علماء الجيولوجيا، أن ينصب أحدنا خيمته، فوق بحر صغير من الرمال الناعمة !!...

مستحيل تماما !!...

ولكن هذا ما بررنا به الأمر لطاقم الفنيين، ومندوب القوات الجوية ...

وعلى الرغم من أننا قد أقمنا مراسم الرثاء للدكتورة (سعاد)، إلا أنه هناك أمور أقلقتنا كثيرا ...

فعدد من أفراد الطاقم الفنى، وحتى زميلنا الدكتور (محمد)، كانوا يشكون من تلك الضوضاء المكتومة العجيبة، التى لم يسمعها أو يشعر بها سواهم، والتى منعتهم تماما من النوم ...

ما الذى نواجهه بالضبط ؟!...

ظاهرة علمية صحراوية جديدة، أم ....؟!...

سأترك هذا للزمن ... لعله يجيب ...

أو لا يجيب ...

لست أدرى !!...

السادس من يناير:

مندوب القوات الجوية قرَّر اليوم إنهاء عمل البعثة رسميا، بعد أن استيقظنا لنفاجأ باختفاء أربعة رجال دفعة واحدة ...

ثلاثة من الفنيين ...

والدكتور (محمد) ...

أربعتهم اختفوا دون أن يتركوا خلفهم أثرا، باستثناء بركة الرمال المتحرِّكة، فى منتصف خيمة كل منهم ...

هنا لم يعد الأمر مجَّرد ظاهرة ...

إنه يتجاوز هذا ...

بكثير ...

الأربعة الذين اختفوا، هم من سمعوا تلك الضوضاء المكتومة ليلة أمس ...

ووجدهم كانت فى موقع خيامهم رمال متحرِّكة ...

وحدهم دون سواهم ...

ولقد فحصت رمال كل خيمة بنفسى ...

واختفاء الأربعة لم يكن الظاهرة الوحيدة ...

لقد تعطَّلت اليوم أيضا كل أجهزة البعثة ...

كلها فى آن واحد ...

وبلا مقدمات ...

وعندما فحصها الفنيون، وجدوها تمتلئ بالرمال ...

كلها ...

Looloo
www.looloolibrary.com

حتى أجهزة الاتصال، مع مندوب القوات الجوية، وجدنا داخلها كم من الرمال، يكفى لإفساد كل التوصيلات الرقمية بها !!...

أصابنا هذا جميعا بحالة من الرعب الصامت، الذى بدا واضحا فى شحوب الوجوه، وزوغان الأعين ...

وحده مندوب القوات الجوية ظل متماسكا، ولكنه ما أن اختلى بى، حتى أخبرنى أن سبب وجوده فى البعثة، هو اختفاء إحدى طائرات القوات الجوية فى هذه البقعة، ودون أن تترك أدنى أثر ...

ولأن أجهزة الاتصال لدينا تلفت، فقد رأى أنه يستعين بوسيلة تقليدية قديمة ...

مسدس الإشارة ...

كان يعلم أن فرصة رؤية ضوء الإشارة فى النهار ضعيفة، إلا أنه لم يكن يملك سوى تلك الوسيلة ...

وحتما لم يكن يريد البقاء، حتى يغلفنا ظلام الليل ...

ولكن المشكلة الكبرى هى أنه لم يعثر على مسدس الإشارة ...

بل ولا حتى على حقيبة أدواته كلها ...

لقد اختفت من خيمته تماما ...

وكالمعتاد .... بلا أثر ...

وبكل توتره، طلب منا أن نترك كل الأجهزة خلفنا، ونبتعد عن هذه البقعة الملعونة على الفور ...

ولكن الرمال كانت فى كل مكان ...

حتى محركات السيارات ...

كل السيارات ...

وكان هذا يعنى أننا سجناء هنا، مع ظاهرة تثير رعبنا، ولا ندرك عنها شيئا

...

وعلى الرغم من أن هذا يخالف كل القواعد، فقد طلب منا مندوب القوات الجوية أن نبتعد عن تلك المنطقة، مهما كانت النتائج ...

وهنا كشفنا المصيبة الكبرى ...

لقد صرنا مسجونين داخل دائرة كبيرة من الرمال المتحرِّكة، يبلغ عرضها عشرة أمتار ...

دائرة علمنا بوجودها، عندما ابتلعت اثنين من الفنيين، والدكتور (عادل)، مع محاولتهم الابتعاد عن المنطقة ...

لا مفر إذن ...

هناك قوة ما، تصرُّ على أن نبقى ...

وسنبقى ...

على الرغم من أنوفنا ...

الساعة الآن السادسة والنصف، والشمس غابت بالكاد، ولكننى ارتجف، من قمة رأسى، وحتى أخمص قدمىَّ ...

إننى أتعجب حتى، كيف أمكننى كتابة هذه الكلمات، بعد كل ما شاهدته بأم عينى !!...

فمنذ قليل، بدت تلك الضوضاء قوية مسموعة، على نحو أصابنا جميعا بالرعب، خاصة وأنها تنبعث من تحت أقدامنا ...

من أسفل الرمال ...

ثم كاد قلبى يتوَّقف، مع ذلك المشهد الرهيب ...

شئ أشبه بثعبان هائل من الرمال، ارتفع فجأة، وأحاط بمندوب القوات الجوية، ثم سحبه معه إلى أسفل، فأختفى تماما، تاركا بركة صغيرة من الرمال المتحرِّكة فى موضعه ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تلاه أحد الفنيين ...

ثم الدكتورة (فاطمة) ...

وتوالى السقوط ...

والاختفاء ...

شئ ما يشن الحرب علينا ...

شئ لا يمكن أن أصفه إلا بأنه رمال حية ...

رمال ابتلعت الجميع، فلم يتبق سواى ...

وليت أدرى حتى إذا ما كانت تقاريرى هذا ستصل إلى أحد أم لا، فالضوضاء المكتومة تتصاعد من أسفلى تماما ...

وها هى ذى الرمال من تحتى تدور، وتدور، وتد. ....

« ليس هناك أى أثر للبعثة ... المنطقة تبدو خالية تماما .... لا بشر، ولا أجهزة، ولا حتى سيارات .... مجَّرد رمال ....»...

أعاد وزير البحث العلمى وقائد القوات الجوية سماع تقرير طائرات البحث عدة مرات، قبل أن يقول قائد القوات الجوية فى توتر:

- أين ذهبوا ؟!... لا أحد يختفى هكذا، دون أن يترك ولو أثر ضئيل خلفه .

صمت الوزير لحظات مفكرا، قبل أن يقول:

- ليس هناك سوى سبيل واحد للمعرفة .

سأله قائد القوات الجوية فى اهتمام:

- وما هو ؟!..

سحب الوزير قلما، وهو يجيب:

- نرسل بعثة أخرى ... سأصدر قرارا بهذا فورا.

ووقَّع القرار .

***

الشيخ جاد....

كان يوماً مرهقاً بحق...

فمنذ الصباح الباكر، لم يسر أى شئ على ما يرام...

السيارة تعطلت فى الصباح، فوصل إلى عمله متأخراً...

والعميل الجديد، الذى اتصل به أمس، وتحدث معه عن صفقة بعشرة ملايين، أخبره اليوم أنه متردد، وأن شركة أخرى عرضت عليه عرضاً أفضل...

وعندما غادر عمله، وجد إطارين من إطارات سيارته فارغين، واستغرق هذا منه ما يقرب من الساعة، قبل أن ينطلق عائداً إلى منزله...

إنه واحد من تلك الأيام، التى لا يسير فيها أى شئ على ما يرام... مطلقاً...

وعندما بلغ منزله، لم يكن يحتمل أن يتحدَّث إليه أحد، وكان يرغب فى الصعود فقط إلى شقته، وتناول قرص منوِّم قوى، والغرق فى سبات عميق، لعله يهدئ من أعصابه، ويزيل توتره...

لهذا فقد أحنقه مرأى ذلك الشيخ الوقور، الذى وقف إلى جوار باب البناية، وراح يتطلع إليه مباشرة بابتسامة كبيرة...

حاول أن يتجاهل ملامحه الهادئة، ولحيته الشيباء الطويلة، إلا أن نظرات الشيخ مالت تتابعه بنفس الابتسامة، وكأنما أتى من أجله بالتحديد...

"ماذا تريد يا هذا؟!...."...

صرخ فى وجه الشيخ فى حدة، شعر بالندم بعد أن أطلق صرخها بلحظة واحدة، خاصة وأن الشيخ لم يبد انزعاجاً من حدته، وإنما سأله بكل الطيبة والهدوء:

Looloo
www.looloolibrary.com

- ماذا يزعجك يا ولدى؟!

استعاد حدته، وهو يقول:

- لا شأن لك بهذا.

مرة أخرى لم يبد انزعاجاً، وإنما أومأ برأسه فى هدوء وطيبة ووقار، قائلاً:

- لا بأس يا (مجدى) يا ولدى.... كل متاعبك ستزول غداً بإذن الله...

قالها الشيخ، واستدار لينصرف، ولكن (مجدى) وثب يمسك بذراعه، وهو يهتف فى حدة:

- كيف تعرف اسمى؟!

تطلع الشيخ إلى عينيه مباشرة، ولم يفقد ابتسامته الطيبة الوقور، وهو يزيح يده الممسكة بذراعه، قائلاً:

- كل شئ سينصلح غداً.

مع النظر إلى عينى الشيخ مباشرة، أفلت (مجدى) ذراعه، وشعر بخدر عجيب يسرى فى جسده، والشيخ يبتعد...

ويبتعد...

"اسمه الشيخ (جاد)...."...

قالها بوَّاب البناية، فى خشوع جعل (مجدى) يلتفت إليه فى حدة، ويسأله:

- أتعرفه؟!

أومأ البوَّاب برأسه إيجاباً، وقال:

- إنه شيخ طيب، يمر من هنا كل حين وآخر.

ثم مال نحو (مجدى)، وخفض صوته، وكأنه سيدلى بسر خطير، متابعاً:

- وله كرامات.

غمغم (مجدى) فى دهشة منفعلة:

- كرامات؟!

أومأ البوَّاب برأسه فى حماس، قائلاً:

- لقد توقف ذات مرة، وأخبرنى أن الفرج سيأتينى فى اليوم التالى...

وفى اليوم التالى بالفعل، كان هناك رجل يمر من أمام البناية، عندما شعر بدوار، وكاد يسقط أرضاً، فالتقطته، وأحضرت له كوباً من الماء، وطلب منى أن أعطية قرصاً من دواء يضمه فى جيبه، وعندما استعاد وعيه، وقال: إننى أنقذت حياته.

وعاد يميل نحو (مجدى)، مضيفاً فى انبهار:

- وأعطانى ألف جنيه... هل تصدِّق يا (مجدى) بك.... ألف جنيه دفعة واحدة.

قالها، وتراجع يهتف:

- كراماتك يا شيخ (جاد).

بدا (مجدى) مبهوراً، وهو يسأله:

- وكيف عرف اسمى؟!.... هل أخبرته به؟!

لوَّح البوَّاب بذراعه، مجيباً:

- الشيخ (جاد) لا يحتاج إلى من يخبره... إنه يعلم كل شئ.

بدا (مجدى) مبهوراً بما سمعه، حتى أن شعوره بالانبهار غلب توتره، ولكنه منعه أيضاً من النوم الهادئ...

وفى اليوم التالى، تصاعد شعور الانبهار أكثر وأكثر....

فعميل الأمس عاود الاتصال، وأخبره أنه قد حسم أمره، وسيعقد الصفقة مع شركته، مضاعفاً إياها إلى عشرين مليون جنيه...

وكاد (مجدى) يطير من الفرحة...

فهذا الرقم يعنى أن عمولته ستبلغ عدة مئات من الألوف...

Looloo
www.looloolibrary.com

وعلى الرغم من وقاره المعتاد فى عمله، وجد نفسه يهتف:

- كراماتك يا شيخ (جاد).

والاهم أنه لم يكد يلمح الشيخ (جاد) أمام بنايته تلك الليلة، حتى أسرع إليه، يسأله:

- شيخ (جاد)... هل تقبل دعوتى؟!

بدت الدهشة على وجه الشيخ، وهو يسأله:

- دعوتك لأى شئ يا ولدى؟!

أجابه (مجدى) بكل حماس:

- على كوب من الشاى... و... وقليل من الحديث.

ابتسم الشيخ (جاد)، وهو يعتذر فى رقة:

- ربما فيما بعد يا ولدى.... فى يوم آخر.

أمسك (مجدى) ذراعه فى رفق هذه المرة، وهو يقول، فى لهجة أقرب إلى التوسل:

- أرجوك.... لن أضيع الكثير من وقتك.

ظهر التردد على وجه الشيخ قليلاً، ثم قال:

- لا بأس... على ألا نطيل.... أريد اللحاق بصلاة المغرب إن شاء الله...

كاد (مجدى) يطير من السعادة، عندما صعد معه الشيخ إلى شقته، وما أن أجلسه فى صالون الضيوف، حتى هتف به:

- أنت رجل بركة يا شيخ (جاد)... الأمور كلها تحسنت اليوم، كما أخبرتنى تماماً بالأمس.

تطلع إليه الشيخ (جاد) فى اهتمام وقور، قبل أن يسأله فى هدوء:

- ماذا يزعجك يا ولدى؟!

بدت الدهشة على ملامح (مجدى)، وهو يقول:

- لا شئ يزعجنى اليوم يا شيخ (جاد).... لماذا تكرر هذا، كلما رأيتنى؟!

تفرس الشيخ (جاد) فى وجهه لحظات، قبل أن يقول:

- الذى يزعجك لم يحدث اليوم يا ولدى.... إنه كامن هناك.

قالها، وأشار إلى رأس (مجدى)، الذى تراجع فى دهشة شبه مذعورة، وهو يغمغم بصوت مرتجف:

- ماذا تعنى يا شيخ (جاد)؟!

هز الشيخ رأسه فى وقار، قائلاً:

- هناك شئ ما يعذب روحك.... اثم ارتكبته، ولم تبح به لأحد، ولكنه يعذبك.

ارتجفت ملامح (مجدى)، على نحو يؤكد مقولة الشيخ (جاد)، الذى سأله فى رفق وطيبة:

- أفصح عما لديك يا ولدى، فيزول شعورك بالعذاب.

أشاح (مجدى) بوجهه، مغمغماً فى توتر:

- لا يوجد ما أفصح عنه يا شيخ جاد.

صمت الشيخ (جاد) لحظات، ثم قال فى هدوء رصين:

- لو أخبرتك أنا بما أقرأه من عقلك، لن يزول عذابك أبداً... يا ولدى.

لاذ (مجدى) بالصمت، وإن شفت ارتعاشة جسده عما يعانيه، فواصل الشيخ بنفس الهدوء والرصانة:

- إنه طريق مظلم طويل، وطقس مطير، و...

أكمل (مجدى)، فى لهجة أقرب إلى البكاء:

- وطفلة صغيرة تعبر الطريق... مساحات الزجاج الأمامى لم تكن تعمل على نحو جيد، فلم أرها...

ثم راحت الدموع تنهمر من عينيه، وهو يتابع فى مرارة وألم:

Looloo
www.looloolibrary.com

- أقسم أننى لم أرها.

غمغم الشيخ (جاد):

- وصدمتها.

بكى (مجدى) بصوت مسموع، وهو يقول:

- عندما رأيتها، لم يكن هناك مفر من الاصطدام.

غمغم الشيخ (جاد):

- ولكنك لم تحاول التوقف لإسعافها.

بكى (مجدى) فى حرقة، مجيباً:

- لم أحاول بالفعل.... لقد أصابنى الذعر، فانطلقت أعدو كأى جبان رعديد.

تراجع الشيخ (جاد)، قائلاً:

- كان يمكنك أن تبلغ عن الحادث، وربما تم إسعافها لو فعلت.

هتف (مجدى) من وسط دموعه:

- ولكننى لم أفعل.

ثم راح يبكى فى حرقة جعلت الشيخ (جاد) يربّت عليه، قائلاً:

- الآن، وقد أفرغت ما تخفيه فى أعماقك، سيزول الألم والعذاب.

التفت إليه (مجدى) يسأله:

- هل تعتقد هذا يا شيخ (جاد)؟!

أخرج الشيخ (جاد) من جلبابه النظيف كيساً من أعشاب برية، ناوله إياه، قائلاً:

- صب بعض الماء المغلى على هذا، واتركه لدقيقة، ثم اشربه، سيزول الألم والعذاب نهائياً... هيا.... افعل هذا الآن.

أسرع (مجدى) ينفذ ما طلبه الشيخ (جاد)، وعاد إليه وهو يرتشف ذلك

المشروب فى شغف، والشيخ (جاد) يقول فى هدوء:

- هيا.... تناوله كله، وسيزول كل الألم والعذاب.

وبالفعل، وبعد دقائق من تناول منقوع الأعشاب هذا، شعر (مجدى) باسترخاء تام، وبخدر يسرى فى جسده، وتثاقل جفناه، وبدا له أن الشيخ (جاد) يبتسم فى ظفر، وهو يقول:

- أطرافك لم تعد تستجيب... أليس كذلك؟!

حدّق فيه (مجدى) فى صعوبة، وفوجئ به ينهض، وينتزع تلك اللحية البيضاء، لتظهر من خلفها ابتسامة شامتة ظافرة....

وبدا له الوجه عندئذ مألوف للغاية...

"لا تحاول تذكّر من أنا.... انت ترانى كثيراً، ولكنك لا تعرف حتى اسمى...."...

قالها الشيخ (جاد) فى هدوء ساخر، قبل أن يضيف:

- الواقع أننى مجرد كومبارس فى السينما.... موهوب للغاية فى التمثيل، ولكننى مازلت مجرّد كومبارس...

حاول (مجدى) ان يقول شيئاً، أو أن يحرّك طرفاً، ولكنه عجز عن هذا تماماً، والرجل يتابع:

- الواقع أننى قمت هذه المرة بدور، أستحق عنه جائزة (الأوسكار)، لو تم عرضه على شاشة السينما.... أنا العميل الذى اتصل بك لعرض العشرة ملايين، والذى قامك بإلغائه فى اليوم التالى، ثم رفعه إلى عشرين مليوناً بعدها بيوم واحد.

بدأت الصورة تتكوّن فى ذهن (مجدى)، والرجل يكمل فى زهو:

- وأنا الشخص الذى تظاهر بالسقوط، ومنح البوّاب ألف جنيه دفعة واحدة.... أنا لعبت كل الأدوار، حتى أقنعك بالشيخ (جاد) وكراماته، وحتى

Looloo
www.looloolibrary.com

أدفعك إلى دعوتى إلى منزلك.... وأجدت أداء دورى، حتى أنك صنعت السم بنفسك لنفسك، وتجرَّعته بإرادتك أمام عينىَّ.

كان (مجدى) يفقد إحساسه بجسده وعقله تدريجياً، وإن أطلَّت من عينيه نظرة مذعورة متسائلة، جعلت الرجل يعتدل، قائلاً فى مقت:

- ستسألنى بالطبع لماذا كل هذا؟!.... باختصار لأننى والد تلك الابنة الوحيدة، التى صدمتها بسيارتك، وتركتها تلفظ أنفاسها الأخيرة، تحت مياه المطر؛ لتفر من مسرح جريمتك فى حقارة.

والتقط نفساً عميقاً، مضيفاً:

- لن تتخيَّل مدى الجهد الذى بذلته، حتى توَّصلت إليك... ولكن دون دليل يكفى لاتهامك رسمياً.

ثم مال نحوه، مكملاً بكل مقت وكراهية الدنيا:

- وكان من المستحيل أن أتركك تفلت من العقاب، مهما كان الثمن.

كانت عينا (مجدى) تنظران إليه مباشرة، عندما نطق كلماته الأخيرة هذه، إلى أنها كانت تفتقر إلى أهم ما يميِّز عينى البشر...

البريق...

بريق الحياة.

* * *

السجين...

"ثلاثة أمتار ويكتمل النفق..."...

هكذا قال (صالح) لنفسه، وهو يواصل فى صبر، حفر ذلك النفق، الذى يقوده من زنزانته، إلى خارج جدران السجن مباشرة...

خمس سنوات وهو يواصل الحفر، مستخدماً ملعقة كبيرة، قام بشحذها خفية....

خمس سنوات وهو يحفر...

ويحفر...

ويحفر...

وبمنتهى الصبر والكد والعرق...

كان مجموع الأحكام، التى حصل عليها، من جراء مجموعة جرائم القتل والاعتداء والاغتصاب والسرقة، التى ارتكبها دون أن يطرف له جفن، يتجاوز المائتى عام...

فماذا تهم خمس سنوات إذن؟!

لم تكن أوَّل مرة يسجن فيها، وكان معتاداً زنزانة الحبس الانفرادى، التى تعتمَّد أن يكون مشاغباً طوال الوقت؛ حتى يتم نقله إليها...

وبمنتهى البراعة، أخفى موضوع النفق، خلف حجر كبير فى الجدار...

انتابته حالة من النشوة، وهو يعيد حساباته، ويتأكَّد من قرب وصوله إلى الهدف، خارج أسوار السجن...

واعترف لنفسه بأنه عبقرى...

كل شئ قام بالتخطيط له بمنتهى الدقة، منذ دخل السجن...

Looloo
www.looloolibrary.com

كل شئ...

خريطة السجن الهندسية...

نوع حجارة الزنزانة...

اتجاه وزمن الحفر..

كل شئ...

حتى خطة ابتعاده عن السجن، وضعها مع زوجته، فى آخر زيارة لها...

لاريب فى أنها الآن تنتظره داخل سيارة بدون أرقام، على مسافة مائة متر من السجن، وكل ما عليه، عندما يخرج من النفق، خارج أسوار السجن، أن يشمل عود ثقاب...

ومن بعيد، سترى زوجته نيران عود الثقاب...

وبسرعة ستأتى...

وبسرعة أكبر ستنطلق، بعد أن تلتقطه...

ولأنه مخططٌ بارع وعبقرى، ستكون جوازات السفر معها، بالإضافة إلى تذكرتين لأبعد دولة، يمكن أن تقلع طائرتها أليها، بعد ساعتين على الأكثر من هروبه...

وفى السيارة سيستبدل ثيابه أنيقة، تجعله أشبه برجال الأعمال، ويسير كل شئ على ما يرام...

توُقف لحظات لاسترداد أنفاسه، وعدّل وضع ذلك المنديل، الذى يخفى به أنفه وفمه؛ لاتقاء تراب الحفر، بعد أن صار يبعد ما يقرب من ثلاثمائة متر عن زنزانة الحبس الانفرادى، ومترين ونصف عن حريته...

مرة أخرى انتشى بالفكرة، وقرّب منه ذلك المصباح، الذى يضئ له النفق الضيق، ثم عاود الحفر...

كانت قد بقيت ساعات ثلاث على الفجر، ولابد وأن ينتهى قبل الفجر، وقبل

موعد تغيير الحراسة على أسوار السجن، عندما يكون الحراس، الذين قضوا الليل ساهرين فى أوج الإرهاق، وفى أبطأ سرعات استجاباتهم...

وهكذا واصل الحفر...

وواصل...

وواصل...

وبعد ساعة وربع من الحفر المتواصل، توُقف مرة أخرى لالتقاط أنفاسه، وعلى الرغم من التراب المحيط بكل شئ من حوله، ابتسم ابتسامة كبيرة...

لقد بلغ لحظة الخلاص بالفعل...

ضربة أخيرة، ويلتقط أنفاسه من الهواء النقى...

هواء الحرية...

استجمع ما تبقى من قواه، وضرب بالمعقة الكبيرة ضربتة الأخيرة...

وانفتح النفق...

أخيراً...

مع فارق واحد...

فالنفق لم ينفتح على هواء نقى...

لقد انفتح على ما يبدو أشبه بكهف مظلم، تنبعث منه رائحة اعتاد أن يكون هو مسببها دوماً...

رائحة موت...

انتفض جسده، وهو يهتف فى أعماقه:

- مستحيل!!...

حدّق فى ذلك الكهف أمامه، وهو يغمغم فى عصبية، ناجمة عن إحباط قاتل، وغضب شديد:

- لا يمكن!!... لقد راجعت الخريطة خمس مرات، قبل أن أبدأ الحفر، وفى

Looloo
www.looloolibrary.com

كل مرحلة من مراحله...

ردَّدها خمس مرات، قبل أن ينقبض قلبه فى شدة...

الخريطة، التى أجرى عليها كل حساباته، أحضرتها له زوجته...

فهل خدعته، طوال كل هذه السنين...

هل تركته يحفر النفق، طوال هذه السنين، وفقاً لخريطة زائفة، لكى تحفر هى، فى صبر ممائل، نفقاً إلى ثروته، التى أخفاها فى إحكام، قبيل إلقاء القبض عليه؟!...

هل؟!...

استعاد زيارتها الأخيرة فى ذاكرته، عندما اضطر إخبارها عن مخبأ النقود؛ لكى تحضرها معها، عند انطلاقهما للمطار...

لقد خدعته القذرة...

خدعته وخانته...

وربما تنعم بثروته الآن مع آخر...

امتلأت نفسه بالغضب، عندما جال هذا الاحتمال الأخير بخاطره، ووجد نفسه يصرخ داخل الممر الضيق:

- أقسم أن أنتقم منك أيتها الخائنة، عندما...

قبل أن يتم صرخته، مرق ذلك الشئ فجأة، عند طرف عينه...

شئ ما، مرق فى سرعة، عبر تلك الفتحة، التى تطلُّ على الكهف المظلم...

وانتفض جسده...

انتفض فى قوة...

وفى رعب...

فذلك الشئ، حسبما لمحته عيناه، لم يكن كائناً صغيراً...

لقد كان شيئاً كبيراً...

شئ فى حجمه هو تقريباً...

فى حجم رجل...

ولو أنه يثق فى بصره جيداً، فقد لمح فى نهاية ذلك الشئ ذيل...

نعم ذيل...

ذيل لا يشبه أى ذيل رآه، لأى مخلوق حى....

ولكنها كانت مجرَّد لمحة...

لمحة، لا يمكنها أن تكفى للجزم بشئ...

أى شئ...

كان جسده يرتجف، وهو يحمل مصباحه، ويقرِّبه من الفتحة فى حذر...

كان كهفاً بالفعل...

كهف رطب الجدران، تسيل على جدرانه وأرضيته مادة غريبة، ليست لها خفة الماء، ولا لزوجة الزيت....

مادة خضراء، هى وسيط بين هذا وذاك...

ولكن لم يكن هناك أى شئ يتحرَّك...

وهذا ما أشعره بلمحة من الارتياح...

وبكل توتره غمغم، محاولاً تهدئة نفسه:

- إنه خداع بصرى... حتماً هو خداع بصرى...

استعاد مصباحه ويأسه، وهو يدور بجسده داخل النفق الضيق، فى مرونة اكتسبها بعد خمس سنوات من الحفر، عندما تسمَّر جسده كله دفعة واحدة...

إنه صوت أنفاس...

نعم...

أنفاس سريعة واضحة...

ليست لاهثة...

Looloo
www.looloolibrary.com

أو متعبة...

إنها أنفاس منتظمة...

هادئة...

ومتحفزة...

أنفاس وحش، يتأهب للانقضاض على فريسته....

وحش مفترس...

شرس...

لا يرحم...

باختصار... وحش مثله...

نعم... وحش مثله...

وحش يقتل ويعتدى، دون أن يطرف له جفن...

اعترف لنفسه، فى هذه اللحظة فقط، أنه عاش كالوحش...

وحش مفترس...

وعلى الرغم من الانتفاضة، التى شملت كل خلية من خلاياه، تجمَّد جسده فى مكانه، ولم يستطع الحركة، على الرغم من أن رأسه كان قد اتجه نحو طريق العودة إلى زنزانته...

ومن خلفه، بدت تلك الأنفاس واضحة...

مخيفة...

رهيبة...

ولسبب ما، استرجع ذهنه فى سرعة تفاصيل الخريطة....

لقد عكست زوجته الاتجاهات على الخريطة...

وبينما كان يحفر طريقه إلى خارج أسوار السجن، كان فى الواقع يشق طريقه إلى مقبرة المساجين...

تلك المقبرة الصغيرة خلف السجن، التى يتم فيها دفن المساجين، الذين يلقون حتفهم فى السجن، ولا يطالب بجثتهم أحد...

تردَّدت العبارة فى ذهنه، وهو يرتجف فى شدة...

مقبرة المساجين...

هل وصل بالفعل إلى مقبرة المساجين؟!...

مقبرة القتلة والسفاحين، الذين لقوا حتفهم، على أيدى زملاء لهم، أو انتهت حياتهم بحبل المشنقة، ولم يطالب بهم أحد...

مقبرة أحقر وأسوأ أنواع المساجين...

كل هذا تلاشى من رأسه دفعة واحدة، عندما سمع تلك الأنفاس الشرسة تقترب منه...

وتقترب وتقترب...

ثم سمع ذلك الصوت، الذى ارتجف له جسده بمنتهى العنف...

صوت هو مزيج من الفحيح والزمجرة...

وكل هذا امتزج بصوت زحف...

ذلك الشئ، أياً كانت ماهيته، كان يزحف خلفه...

ومن كل ذرة فى كيانه، تفجَّر رعب هائل....

رعب جعله، وهو السفاح الرهيب، يطلق صرخة عالية، ويزحف بكل سرعته، عبر نفق طوله ثلاثمائة متر...

كان يزحف بكل سرعته، وذلك الشئ يزحف خلفه، وأنفاسه تتعالى...

وتتعالى...

وتتعالى..

وراح (صالح) يصرخ...

ويزحف..

Looloo
www.looloolibrary.com

ويرتجف...

لم يكن يتصوَّر أنه قادر على الزحف بهذه السرعة...

ولكنه فعلها...

وتعالى ذلك الصوت المخيف من خلفه...

إنه سباق بين وحش...

ووحش...

كانت صرخاته عالية، حتى أنها بلغت نهاية النفق، على نحو جعل الضابط النوبتجى وشاويش الحبس الانفرادى يسرعان إلى الزنزانة...

وفى ذهول، بدا لهم مدخل النفق، الذى تنبعث منه صرخات (صالح)...

وبكل ذهوله، هتف الضابط:

- كيف فعل هذا؟!

هتف الشاويش فى هلع:

- لست أدرى؟!.. أقسم أنه لا يد لى فى هذا...

كانت صرخات (صالح) تقترب، وتتعالى...

وتتعالى...

وتتعالى...

وفى حركة غريزية، سحب الضابط مسدسه، وصوَّبه إلى مدخل النفق فى توتر وتحفُّز...

ثم ظهر رأس (صالح)، عند مدخل النفق...

ورآهما...

وبكل رعبه، مد يده إلى الضابط، صارخاً:

- أنقذنى ... أرجوك.

صرخ فيه الضابط:

- هذا الخداع لن يفيدك يا (صالح).

صرخ (صالح):

- ليست خدعة...أقسم لكم... أنقذانى... أرجوكما.

تراجع الضابط، وهو يصوِّب إليه مسدسه، فى تحفز أكثر، و...

وفجأة، ارتجف جسده فى قوة، وقفز الشاويش من مكانه، وهو يصرخ فى رعب:

- لا إله إلا الله... لا إله إلا الله.

فمن داخل النفق، امتدَّت يد حرشفية ذات مخالب طويلة حادة ملتوية، من فوق رأس (صالح)، ثم انغرست فى ظهره، وجذبته فى قوة إلى داخل النفق، وهو يصرخ...

ويصرخ...

بكل الرعب والألم...

أما الضابط والجندى، فقد جمدهما الذهول والرعب، وهما يستمعان إلى صرخات (صالح)، التى تبتعد، وتضعف، حتى توقَّفت تماماً...

ومنذ ذلك الحين، على الرغم من أن الأمر لم يسجَّل فى أى تقرير رسمى، ومن أن مدخل النفق تم سده بجدار كامل من الأسمنت المسلح، فإن تلك الزنزانة بالذات لم تعد تستخدم فى ذلك السجن...

أبداً.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

مصيف الأحلام..

"شقة رائعة...."...

هتفت (فريدة) بالعبارة فى إعجاب، وهى تتجوَّل فى تلك الشقة ذات الحجرتين، التى استأجرها زوجها (نبيه)، لقضاء أسبوع فيما أسماه (مصيف الأحلام)...

(مرسى مطروح)...

ومع هتافها، ابتسم (نبيه) فى ارتياح، وداعب رأس طفله الوحيد (أدهم) قبل أن يلتفت إلى السمسار، قائلاً:

- اتفقنا.... سنستأجرها.

أدهشة ذلك التردُّد، الذى ارتسم على وجه السمسار، وهو يقول:

- لو أردت رأيى يا باشا، فالشقة اليمنى أفضل لكم.

استدارت إليه (فريدة)، فى حركة حادة، أقرب إلى الشراسة، وهى تهتف:

- كلا بالطبع.

أدرك (نبيه) أن (فريدة) ستتحوَّل هنا إلى (زينة)، وسترفع سيف لسانها فى وجه السمسار، وستقاتله بكلماتها الحادة...

وهى لا تقبل الهزيمة، فى مناقشة قط ...

ستبارز...

وتبارز...

وتبارز...

حتى تنتصر...

وبأية وسيلة...

ولهذا فقد آثر الصمت، واتخذ مجلسه على مقعد قريب، وترك (فريدة) تكمل، بنفس الحدة الشرسة:

- الأثاث هنا أفضل كثيراً، ودورة المياه تعمل بكفاءة، بخلاف تلك فى الشقة اليمنى.

غمغم السمسار، فى توتر واضح:

- وعلى الرغم من هذا، فهى أفضل لكم.

واصلت هجومها الشرس، وكأنها لم تسمعه:

- ثم أن المشهد هنا أفضل كثيراً....إننا نرى البحر مباشرة، ومن زاويتين، و...

قاطعها السمسار، وكأنما نفد صبره:

- إذن فأنتم تصرُّون على استئجار هذه الشقة.

كان (نبيه) قد وعد نفسه بالتزام الصمت، مهما كانت طبيعة الحوار، إلا أنه، وعند هذه النقطة، وجد نفسه يسأل فى حيرة:

- لماذا تحاول أن تثنينا عن استئجار هذه الشقة؟!... ألم تقترحها بنفسك، عندما اتصلت بك هاتفياً من (القاهرة)؟!

أشار السمسار بيده، وقال بلهجة من يتبرأ من أمر مشين:

- لقد تحدَّثت مع ابنى، وليس معى.

سأله (نبيه) فى حيرة أكثر:

- وما الفارق؟!

أجاب السمسار فى خفوت، لم يكن له ما يبرِّره:

- إنه لا يعلم.

سأله (نبيه)، وقد بلغت حيرته ذروتها:

- يعلم ماذا؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

التقط الرجل نفساً عميقاً، ولوَّح بيده مرة أخرى، وهو يقول:

- مادمتم تصرون، فليكن.

تألقت عينا (فريدة) بالظفر، فى حين شعر (نبيه) بالارتياح: لإنتهاء الأمر عند هذا الحد، وأسرع ينقد السمسار، ما تبقى له من أجر الشقة، وعمولته الشخصية، ثم لم يكد يغلق الباب خلفه، حتى التفت إلى (فريدة)، هاتفاً فى سعادة:

- الآن فقط نبدأ إجازتنا فى مصيف الأحلام... هيا.... استبدلى ملابسك، فلست أرغب فى إضاعة لحظة واحدة.

بدا صوتها أشبه بالزمجرة، وهى تقول:

- لا يمكننا هذا... لقد نام (أدهم)، ولابد وأن ننتظر حتى يستيقظ.

بدت على وجهه علامات خيبة الأمل، وهو يغمغم:

- بالطبع.

وضعت (فريدة) ابنها فى فراشه برفق، ورقدت إلى جواره، وسرعان ما غلبها إرهاق السفر، من (القاهرة) إلى (مرسى مطروح)، فراحت بدورها فى سبات عميق...

وعندما وجد (نبيه) نفسه وحيداً، اتجه إلى حجرة النوم الثانية، واستغرق مثلهما فى سبات عميق...

ولكن العجيب أنه، وعلى الرغم من استغراقه فى النوم، لم يشعر بالارتياح...

وهذا بسبب هذا الكابوس....

كابوس عجيب، رأى نفسه فيه فى عرض البحر، يصارع أمواجاً عالية قوية، ويحاول السباحة بكل قوته، ولكن ذراعاه لا يطاوعانه...

ورأى نفسه يقاوم...

ويقاوم...

ثم تنهار مقاومته فجأة...

ويغرق...

تثاقلت أنفاسه، وشعر وكأن رئتيه تنفجران، و...

واستيقظ من نومه بحركة حادة...

وسعل فى قوة...

لوهلة، تصوَّر أنه يسعل بسبب كابوس الغرق...

ثم انتبه فجأة إلى أنه يسعل لسبب آخر تماماً....

ففى حجرته، كانت هناك رائحة غاز بوتجاز، جعلته يقفز من فراشه، ويعدو نحو المطبخ...

ولدهشته، وجد جميع دوائر الموقد مفتوحة، والغاز يتسَّرب منها إلى الشقة كلها...

وبسرعة، أغلق كل الدوائر، وهو يسعل بشدة، ثم عدا ليفتح كل نوافذ الشقة وشرفتها، قبل أن يهرع إلى زوجته وابنه...

أيقظ (فريدة) فى توتر شديد، جعلها تهتف:

- ماذا هناك؟!

التقط انفها بقايا رائحة الغاز، فهتفت:

- ماذا حدث؟!

بح صوته، وهو يهتف بها:

- (أدهم)... اطمئنى على (أدهم).

أسرعت توقظ ابنها، واستراح كلاهما، عندما استيقظ حائراً، يتساءل بدوره عما حدث...

يومها فصل (نبيه) اسطوانة الموقد عن الموقد، وأغلقها فى إحكام، ونقلها

Looloo
www.looloolibrary.com

إلى الحمام الإضافى، وترك نافذته مفتوحة، قبل أن يغلق بابه فى إحكام...

ولساعة او أكثر، راحت (فريدة) تناقشه عما حدث، وتتهمه بأنه ترك الدوائر مفتوحة دون أن ينتبه...

ولأن المناقشة معها- أية مناقشة- غير مجدية على الإطلاق، فقد اكتفى بأن قال: إنه (ربما) فعل...

وانتهت الليلة الأولى فى سلام...

وفى الصباح التالى، خرج (نبيه) و(فريدة) مع ابنهما (أدهم) إلى الشاطئ، وسبحا معاً لثلاث ساعات، وكان يوماً ممتعاً، عادوا بعده إلى الشقة، وكل ما يفكرون فيه هو الطعام...

والنوم...

ومع مغيب الشمس، استغرق (فريدة) فى نوم عميق، وهى تحتضن (أدهم)، وخرج (نبيه) إلى الشرفة، واستلقى على أريكة مطاطية بها، وسرعان ما راح بدوره فى سبات عميق...

وفى هذه المرة أيضاً راوده الكابوس نفسه...

يغرق...

يقاوم...

يصارع الأمواج...

وفى هذه المرة، ضرب رذاذ الماء وجهه، وتقاطر عليه، و...

انتبه فجأة...

لم يكن قد فتح عينيه بعد، عندما شعر بتلك القطرات الباردة، تتساقط على وجهه، وتسيل على خده، لتلمس شفتيه، و...

وانتفض جسده كله...

فالمياه لم تكن من قطرات الندى، كما تصوَّر فى البداية..

بل كانت مياه مالحة...

مياه بحر...

وفى حركة سريعة، فتح عينيه...

وانتفض جسده مرة ثانية...

وفى تلك المرة الثانية، كانت الانتفاضة أقوى...

ألف مرة...

فعندما فتح عينيه، ارتطم بصره بذلك الوجه البشع، الذى ينحنى على وجهه، من خلف رأسه...

وجه نحيل...

ممصوص...

جاحظ العينين...

أزرق اللون...

يتقاطر الماء المالح من شعره المبتل، على وجهه مباشرة...

وعلى الرغم منه، أطلق (نبيه) شهقة رعب، ووثب جالساً على طرف فراشه...

ولم يجد شيئاً...

اختفى الوجه وصاحبه تماماً...

وبقيت قطرات الماء المالح على وجهه...

ارتجف جسده كله، وقرَّر أن يدخل ليشارك زوجته وابنه حجرتهما، لعله يجد لديهما الدفء والشعور بالأمان...

وعلى الرغم من طعم الماء المالح فى فمه، ومن ساقيه المرتجفتين، حاول إقناع نفسه بأن ذلك الوجه لم يكن سوى استمرار للكابوس الذى عاشه...

وفى تلقائية، دفع الباب الزجاجى للشرفة، حتى يدخل المنزل...

Looloo
www.looloolibrary.com

وانفتح الباب قليلاً...

ثم ارتد فى قوة...

ارتد كما لو أنه هناك قوة تدفعه فى الاتجاه المضاد...

وبكل رعبه، دفع (نبيه) الباب الزجاجى مرة ثانية...

وثالثة...

ورابعة...

وفى كل مرة كان الباب يفتح، ثم يرتد فى قوة...

وتسارعت نبضات قلبه فى رعب، تضاعف ألف مرة، عندما شاهد خيط الماء، الذى يمتد من مدخل الشقة إلى الشرفة، كما لو أنه هناك من سار مبتلاً، حافى القدمين، عبر هذا المسار...

وصرخ الرعب فى أعماقه باسم زوجته وابنه...

إنهما على الجانب الآخر...

الجانب الذى يدفع باب الشرفة؛ ليرتد فى وجهه...

الفكرة جعلته يستجمع قواه، ويضرب باب الشرفة بكل قوته...

وفى هذه المرة، انفتح الباب...

وبكل قوته، ودون أن يضيع لحظة واحدة، اندفع نحو حجرة زوجته وابنه، وأيقظ (فريدة)، التى استيقظت مذعورة، وهو يهتف بها مرتجفاً:

- هيا... اجمعى الحقائب، سنغادر هذه الشقة فوراً.

تساءلت مذعورة:

- ولماذا؟!... ماذا حدث؟!

أجابها فى عصبية:

- لم أعد أحتملها... سنقضى الليل فى أى فندق، ثم سنعود غداً إلى (القاهرة).

أدهشها موقف بشدة، وحاولت أن تسأله عن السبب، إلا أنه كان شديد الإصرار والحزم...

وقبيل منتصف الليل بقليل، استقر بهم المقام فى فندق كبير...

ومنفرداً، أجرى (نبيه) اتصاله بالسمسار، وصاح به، ما أن سمع صوته:

- ماذا يوجد بتلك الشقة اللعينة؟!

بدا له صوت السمسار مرتجفاً، وهو يقول:

- لقد نصحتكم باختيار الشقة اليمنى.

كرَّر (نبيه) سؤاله صارخاً، فغمغم السمسار فى بؤس:

- الشقة كانت ملكاً لرجل نحيل أعذب، غرق بالقرب من الشاطئ، وتم نقله إلى الشقة، ومنذ ذلك الحين...

أغلق (نبيه) الهاتف فى وجهه، قبل أن يكمل روايته...

فلم يكن بحاجة لسماع الرواية...

لقد عاشها بنفسه...

وبكل ذعره وهلعه...

وفى السادسة صباحاً، كانت سيارته تنطلق به وبزوجته وابنه، عائدة إلى (القاهرة)...

وحاولت (فريدة) أن تعرف سر كل هذا...

حاولت...

وحاولت...

وحاولت...

استخدمت كل أساليبها...

الشراسة...

والعنف...

Looloo
www.looloolibrary.com

والحدة...

ثم اللين...

والود...

والدلال...

وأخيراً، استسلمت للأمر، وانهزمت لأوَّل مرة فى حياتها...

فحتى لحظة كتابة هذه السطور، لم يخبرها (نبيه) بما حدث... أبداً.

* * *

استجواب...

عيناه ثقيلتان...

رأسه يدور...

ذهنه مشوَّش...

وفى بطء، يفتح عينيه...

ما هذه الحجرة؟!...

حجرة صغيرة، بها مكتب واحد، أمامه مقعدين، وإلى جواره مقعد صغير...

الإضاءة خافتة...

الهواء مشحون برائحة عجيبة...

و...

"هل تسمعنى جيداً؟!..."...

انتفض جسده، مع السؤال المفاجئ، الذى لم يتبين مصدره فى البداية، ثم سرعان ما انتبه إلى أنه يأتى من خلفه، فالتفت ليرى شاباً وسيماً، يدور من حوله، ليجلس خلف ذلك المكتب المنفرد...

وفى هدوء، ظهر شاب وسيم آخر، اتخذ المقعد المجاور للمكتب...

هذا المشهد مألوف لديه...

إنه أمام وكيل نيابة، والجالس إلى جوار المكتب هو سكرتير النيابة...

لقد مرَّ بهذا من قبل...

إذن فقد أوقعوا به...

لهذا يشعر بذلك الألم الشديد، فى مؤخرة رأسه...

لقد ضربه أحدهم بشومة أو هراوة، أفقدته الوعى...

Looloo
www.looloolibrary.com

التقط نفساً عميقاً، وهو يجيب:

- اسمعك جيداً يا سيادة وكيل النيابة.

رمقه وكيل النيابة بنظرة نارية، قبل أن يخفض عينيه إلى الأوراق أمامه، قائلاً:

- تميل إلى الإجرام منذ طفولتك.

مطَّ شفتيه، وهزَّ كتفيه، قائلاً:

- لو راق لك أن تصف الأمر بهذا.

تجاهل وكيل النيابة تعليقه تماماً، وقال وكأنه يقرأ ملفاً أمامه:

- كل محاولات إصلاحك فشلت، منذ كنت فى الخامسة من العمر... فرَّرت من والديك خمس مرات، ومن دار الرعاية أربع مرات، وسجلت أول سابقة لك، فى الثانية عشرة من العمر.

زفر فى ملل، قائلاً:

- هل سنقضى الوقت فى استعراض تاريخ حياتى؟!...

مرة أخرى تجاهله وكيل النيابة تماماً، وهو يكمل:

- فى العشرين من عمرك، تحوَّلت من سارق ولص، إلى قاتل مأجور، يريق الدم مقابل المال.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة، وهو يغمغم:

- لا يمكنكم اثبات هذا.

مرة ثالثة، تجاهله وكيل النيابة تماماً، متابعاً:

- ارتكبت خلال السنوات التسع التالية ثمان وعشرين جريمة قتل، للآتى أسماءهم.

راح وكيل النيابة يذكر قائمة الأسماء فى هدوء، فى حين لم يستطع هو كتمان الدهشة، التى وجدت سبيلها إلى وجهه وعينيه، وهو يستمع بكل حواسه

إلى وكيل النيابة...

هذا مستحيل!!...

إنهم يعرفون اموراً، يستحيل أن يعرفها أحد...

وبأدق أدق التفاصيل....

حتى جرائم القتل التى ارتكبها، على نحو جعلها أشبه بحادث عرضى، والتى انتهى التحقيق الرسمى فيها إلى هذا، يذكرونها...

والسؤال، الذى يكاد يشق رأسه هو كيف؟!...

كيف؟!...

كيف؟!..

انتهى وكيل النيابة من سرد القائمة شديدة الدقة، ثم رفع عينيه إليه، قائلاً:

- كان المفترض أن تقتل المستشارة (هناء أبو جبل) الليلة، لولا ما حدث.

قال فى عصبية:

- هراء.

رمقه وكيل النيابة بنظرة نارية أخرى، وقال فى صرامة:

- لا يوجد هراء فى حرف واحد هنا.

قال فى حدة:

- لن تحصل منى على اعتراف واحد، وأيضاً بأى حرف مما ذكرته الآن.

صمت وكيل النيابة لحظات، ثم قال:

- لسنا فى حاجة إلى اعترافك.

ويالله من قول!!...

أى وكيل نيابة هذا، الذى لا يطلب اعترافاً من قاتل؟!...

ألديه من الدلائل، ما يجعله لا يبالى بالاعتراف؟!...

Looloo
www.looloolibrary.com

أمن الممكن هذا؟!...

إنه شديد الدقة دوماً، فيما يتعلق بهذا...

حتى الحمض النووى، يحرص على ألا يتركه خلفه...

لا بصمات...

أو سوائل جسدية...

أو آثار أقدام...

لا شئ يتركه خلفه على الإطلاق...

ولهذا عجزوا عن إدانته دوماً...

ثم كان هؤلاء السياسيون، الذين حرصوا على عدم إدانته طوال الوقت...

هذا لأن اعترافه أو سقوطه، يعنى سقوط بعضهم بالتبعية...

فكثيراً ما أدى الخدمات لبعضهم...

القضاء على منافس قوى...

أو التخلص من صحفى عنيد...

أو حتى إطلاق نار وهمى، خلال الدعاية الانتخابية؛ لجذب حالة من التعاطف نحو السياسى، قبيل ساعات من بدء الاقتراع...

معظمهم على علاقة به...

يستفيدون من خدماته...

ويدفعون بسخاء...

ويحمونه أيضاً....

"أريد إجراء محادثة هاتفية...."...

قالها فى صرامة، مواجهاً وكيل النيابة، الذى ظل محتفظاً بهدوئه، وهو يقول:

- لا اتصالات هنا.

هتف:

- ولكن هذا حقى.... أريد الاتصال ببعضهم.... أو بمحامى الخاص على الأقل.

مال وكيل النيابة نحوه، قائلاً:

- أخبرتك إنه لا اتصالات هنا.

انعقد حاجباه، وهو يقول فى غضب:

- إنها ليست اتصالات عادية... أريد الاتصال بصديقى (عماد العريان)، أو صديقى (محمد موسى).

كان ذكر الاسمين يكفى- فى المعتاد- لقلب الأمور رأساً على عقب، ولكن وجه وكيل النيابة لم يحمل ذرة من التأثر، وهو يكرِّر:

- لا اتصالات هنا.

تراجع فى عصبية شديدة، ولوَّح بذراعه، قائلا:

- بدون محام، لا يمكنك إدانتى.

مرة جديدة، رمقه وكيل النيابة بتلك النظرة النارية، قبل أن يقول:

- كل جرم يلقى جزاءه فى النهاية.

أشار هو بسبَّابته، قائلاً فى تحد عصبى:

- ليس كل مجرم.

هزَّ وكيل النيابة رأسه، قائلاً:

- بل كلهم.... فى الدنيا، أو فى الآخرة.

الابتسامة الساخرة، التى ارتسمت على شفتيه، جعلت وكيل النيابة يسأله فى اهتمام:

- ألا تؤمن بالحساب بعد الموت؟!

امتزج الاستهتار بالسخرية فى ابتسامته، وهو يقول:

Looloo
www.looloolibrary.com

- وهل تؤمن أنت به؟!

اعتدل وكيل النيابة، مجيباً:

- دون ذرة واحدة من الشك.

بدا أكثر سخرية واستهتار، وهو يقول:

- أفق يا رجل.... كل هذه خزعبلات لا دليل عليها.... حياة بعد الموت، وحساب وعقاب، وجنة وجحيم... كيف يمكن أن يؤمن مثقف مثلك بهذا؟!..

ظلَّ وكيل النيابة هادئاً لحظات، قبل أن يقول:

- إذن فانت لا تؤمن بالله عزَّ وجلَّ؟!

أجابت ابتسامته الساخرة السؤال، قبل أن يلوِّح بيده، قائلاً:

- فكرة سادية عجيبة، أن يلقى بك فى النار، التى تلتهم جسدك، وتذوق فيها عذاباً رهيباً، ثم يتجدَّد جلدك، ويحترق مرة ثانية، وهكذا.

لم يجب وكيل النيابة أو يحَّرك ساكناً، أو يحاول حتى التعليق على قوله، وهو ينظر إليه فى إمعان، فاعتدل هو، وهو يقول فى حزم:

- أنت لست وكيل نيابة.

صمت وكيل النيابة لحظات، ثم سأله فى هدوء:

- لماذا افترضت هذا؟!

أجابه فى ثقة:

- لأنك لا تبالى بإدانتى.

غمغم وكيل النيابة:

- أنت مدان بالفعل.

هتف:

- هراء.... هذه اللعبة لن تخدعنى.... أنت لست وكيل نيابة حتماً.

مرت فترة من الصمت، قبل أن يقول وكيل النيابة:

- من أنا فى رأيك؟!

أجابه فى سرعة:

- مندوب عن بعض الكبار، الذين يسعون لاستغلال مواهبى.

غمغم وكيل النيابة:

- أهكذا يبدو لك الأمر؟!

هتف فى ثقة:

- بالتأكيد.... أنتم فقط تحاولون إدارة الأمر لصالحكم، بحيث أخشى أن تكون الشرطة قد حصلت على كل أدلة اتهامى، فأتعامل معكم فى خضوع، باعتبار أن البديل الوحيد هو إعدامى.

أجابه وكيل النيابة بكل هدوء:

- هذا مستحيل!

اعتدل يسأله فى دهشة:

- ولماذا مستحيل؟!

أجابه وكيل النيابة:

- لأنك يستحيل أن تموت، وإن كنت ستتمنى الموت فى كل لحظة... بل فى كل جزء من الثانية.

لم يفهم معنى هذا، فقال فى حدة:

- كل البشر يموتون فى النهاية.

مال وكيل النيابة نحوه، قائلاً:

- هذا صحيح... كلهم... بما فيهم أنت.

قالها بلهجة مخيفة، جعلته يتساءل فى رهبة:

- ماذا تعنى؟!

نهض الجالس إلى جوار المكتب، واتجه نحوه، فى حين قال وكيل النيابة فى

Looloo
www.looloolibrary.com

هدوء:

- أنت ميت بالفعل.

مع قوله، شعر هو مرة أخرى بذلك الألم خلف رأسه، فمد يده إلى مؤخرة رأسه، ووجدها تغوص فى ثقب كبير فى جمجمته، فى نفس الوقت، الذى انتزعه فيه الشخص الآخر من مكانه، واتجه به نحو الباب، ووكيل النيابة يضيف بنفس الهدوء:

- مرحباً بك فى الجحيم، حيث يتمنى الكل الموت فلا يجدونه.

وفتح الآخر الباب، فظهرت ألسنة اللهب الرهيبة خلفه....

وصرخ هو، وصرخ، ولكن الآخر دفعه نحو ألسنة اللهب الهائلة....

حيث لا موت....

على الإطلاق.

* * *

اللعنة!...

ابتسامة كبيرة، ارتسمت على شفتى الممثل الشهير (حامد عزيز)، عندما سأله صديقه عالم الآثار:

- هل تؤمن بلعنة الفراعنة؟!

ولما لم يجب (حامد)، مال صديقه (نادر) نحوه، مستطرداً:

- كثيرون يؤمنون بها.

هزَّ (حامد) كتفيه، مجيباً:

- وكذلك الأشباح، والأرواح، والعفاريت، وذى القدم الكبيرة، ووحش (لوخ نيس)، ورجل الجليد.... كثيرون يؤمنون بكل هذا، على الرغم من أنه لا يوجد دليل واحد، على وجود أى منهم.

اعتدل (نادر)، وقال:

- أنت لا تخشى المقابر الفرعونية إذن!

أجابه (حامد) فى حزم:

- مطلقاً.

عاد يميل نحوه، قائلاً فى تحد:

- اثبت هذا إذن.

عاد (حامد) يبتسم، وهو يشير بيده، قائلاً:

- كيف؟!.... هل أكتب إقراراً بذلك؟!

اعتدل (نادر)، مجيباً بنفس التحدِّى:

- اصطحبنى إلى مقبرة فرعونية حديثة الكشف.

لم يكن (حامد) لديه وقت لهذا، ولكنه خشى أن يتهمه صديقه بالكذب،

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال فى حزم:

- لا بأس.... متى؟!

انتقلت الابتسامة إلى وجه (نادر)، وهو يقول:

- غداً صباحاً.

أزعج هذا (حامد) كثيراً، ولكنه كان مستعداً فى الصباح التالى...

ارتدى سروالاً من الجينز، وقميصاً قصير الأكمام، وكاباً يحمل شعار ناديه المفضل، وانتظر سيارة (نادر) أمام منزله...

وفى الموعد بالضبط، وصل (نادر)...

وطوال ساعة، قطعت بهما سيارته رباعية الدفع الطريق، من منزل (حامد) إلى ما بعد أهرامات (الجيزة)، حيث تلك المقبرة حديثه الكشف....

وأمام المقبرة، سأله (نادر) للمرة الأخيرة:

- ألا تخشى دخولها؟!

قال (حامد) فى ثقة:

- مطلقاً!!

ابتسم (نادر) ابتسامة، رآها (حامد) أشبه بالتحدى، فتتبعه فى حزم إلى داخل المقبرة، وسار خلفه فى ممراتها الضيقة، حتى بلغا حجرة الدفن، التى تمددت فيها مومياء فرعونية، داخل تابوت من النحاس، أشار إليه (نادر)، قائلاً:

- ليس من المعتاد أن يستخدم الفراعنة توابيتاً من النحاس.

هزّ (حامد) كتفيه، قائلاً:

- لست أعرف الكثير عنهم.

عادت ابتسامة (نادر) إلى شفتيه، وهو يقول:

- ربما تعرف الكثير عنهم اليوم.

حاول (نادر) أن يبادله الابتسام، إلا أنه لم يشعر برغبة جادة فى هذا، فرسم ابتسامة باهتة على شفتيه، وهو يتلفّت حوله، على ضوء مصباح (نادر) اليدوى، قائلاً:

- أهذا كل شئ؟!... لا يوجد ذهب أو مجوهرات؟!

اتسعت ابتسامة (نادر)، وهو يحرّك ضوء مصباحه اليدوى، على نحو مزعج:

- ليس فى كل مقبرة تجد الذهب والمجوهرات.

أشار (حامد) بيده، قائلاً:

- ولكننى قرأت أنه توجد دوماً أوان خاصة، لحفظ أحشاء المومياء.

واصل (نادر) حركة مصباحه المستفزة، وهو يجيب:

- هذا صحيح.... اسمها أوان (كانوبية).

تلفّت (حامد) حوله، متسائلاً:

- لست أرى شيئاً منها هنا.

لم يجب (نادر) هذه المرة، فاستدار إليه (حامد) يسأله:

- أين يفترض أن تكون؟!

هم (نادر) بإجابته، و..

وفجأة، انقطع ضوء مصباحه اليدوى...

وساد ظلام دامس مفاجئ...

ومع الظلام، ارتفعت شهقة (نادر)...

شهقة تجمع ما بين الدهشة...

والاستنكار...

والرعب...

كل الرعب...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولما لم يكن يرى شيئاً، راح (حامد) يلوِّح بيديه، قائلاً فى توتر:

- (نادر)... أين أنت؟!... ماذا حدث؟!

لم يتلق جواباً من (نادر)...

بل ولم يسمع أى صوت...

وبدا له الظلام دامساً للغاية...

وبكل توتره، هتف (حامد) مكرراً:

- أين أنت؟!

ومرة أخرى، لم يتلق جواباً...

وتضاعف توتره...

تضاعف ألف مرة...

هتف (حامد) ينادى (نادر) بصوت أعلى...

وأعلى...

وأعلى...

ثم تؤلاه فزع حقيقى، جعله يصرخ:

- لماذا وافقتك على هذه الحماقة؟!... لست أرى حتى طريق الخروج من هنا.

راح يتحسَّس الجدران، محاولاً البحث عن الفتحة، التى وصلوا عبرها إلى حجرة التابوت...

وبكل فزعه، دار على جدران الحجرة الأربعة...

تحسَّس كل الجدران، فى رحلة دائرية كاملة...

وتضاعف فزعه ألف مرة، عندما لم يجد تلك الفتحة...

وهذا مستحيل!!...

إنها حجرة مربَّعة، والفتحة كانت تكمن فى منتصف أحد جدرانها...

فأين ذهبت؟!...

أين؟!...

مستحيل أن تكون قد اختفت أو تلاشت!!...

مستحيل!!...

ولكنه دار حول الجدران مرتين، دون أن يعثر لها على أثر...

وبكل قوته وتوتره وفزعه صرخ:

- هل يسمعنى أحد؟!... أريد الخروج من هنا.... أخرجونى من هنا...

كرَّر صراخه هذا مرة...

وثانية...

وثالثة...

ولم يستجب له أحد...

وعندئذ انفلتت مشاعره...

ووجد الدموع تنساب من عينيه، دون أن يملك لها تراجعاً...

وراح يبكى فى صوت مسموع...

وجلس القرفصاء، وهو يخفى وجهه بين يديه، ويسكب دموعه على راحتيه، و...

وفجأة سمع تلك الحركة القريبة منه...

كان صوت أقدام تزحف...

كائن ما يقترب منه...

كان يسير على قدمين...

فى تلك اللحظة شعر أنها خدعة سخيفة من (نادر)، فصرخ:

- (نادر).... أهو أنت؟!...

اقتربت منه الأقدام أكثر...

Looloo
www.looloolibrary.com

وأكثر...

وأكثر...

ومع دقات قلبه، التى وثبت إلى ذروتها، بدأ يشعر بأنفاس على عنقه...

ليست أنفاساً حارة كأنفاس البشر...

بل أنفاس باردة...

باردة كالثلج...

وهنا، صرخ بكل رعب الدنيا...

وانهار تماماً...

وراح جسده يتشنَّج بشدة، وخاصة عندما لامست تلك الشرائح الكتانية القديمة، ذات الرائحة الجافة وجهه....

وبكل رعبه، صرخ:

- رباه!!... إنها حقيقة... لعنة الفراعنة حقيقة.

وامتدَّت يد محاطة بشرائط الكتان الجافة القديمة نحوه، ولامست وجهه كله، فانحبست أنفاسه، واتسعت عيناه عن آخرهما، وشعر بروحه تخرج من جسده، و...

وفجأة، أضيئت الأضواء، وارتفع حاجز من الحجر، كان يخفى فتحة دخول وخروج المقبرة، وقفز (نادر) داخل حجرة الدفن، وهو يهتف فى مرح:

- مفاجأة... أنت ضيف برنامج (حازم حازم) الشهير.

لم تكن الدهشة من نصيب (حامد)، بل كانت من نصيب (نادر) نفسه، عندما استقبله (حامد) بابتسامة هادئة باردة، وهو يقول:

- كنت أعلم هذا منذ البداية.

تراجع (نادر) فى دهشة، وظهر من خلفه (حازم) مقدِّم البرنامج الشهير، وهو يقول فى دهشة حقيقية:

- ولكنك بدوت مذعوراً بشدة، على عكس ما تبدو عليه الآن.

ابتسم (حامد)، وشدَّ قامته، مجيباً بنفس الهدوء:

- أنسيتما أننى نجم سينمائى من الطراز الأوَّل؟!... لقد لعبت اليوم أحد أعظم أدوارى.

مدَّ (حازم) يده يصافحه، وهو يقول:

- تهانئى يا أستاذ (حامد)... أنت أروع من استضفته، فى برنامج المقالب الرمضانية هذا.

بدت له يد (حامد) باردة أكثر من اللازم. ورأى بريقاً خاصاً يطلُّ من عينيه، فسحب يده فى سرعة، مكملاً:

- ستثير حلقتك إعجاب المشاهدين فى شدة.

غادر (حامد) تلك المقبرة مع (نادر)، الذى بدا شديد الحماس، وهو يقود سيارته رباعية الدفع، قائلاً:

- كنت أظنك ستغضب منى.

ابتسم (حامد) ابتسامة باهتة، وهو يسأله:

- من كان صاحب فكرة اختيار مقبرة حقيقية؟!

ضحك (نادر)، وهو يجيب:

- كانت فكرتى فى الواقع.

استرخى (حامد) فى مقعده، وهو يقول:

- عظيم.

راح (نادر) يتحدَّث، ويروى كيف جالت الفكرة بخاطره، وكيف اختار مقبرة حديثة الكشف، و...

ولم يتجاوب معه (حامد)...

بل حتى لم يسمعه...

Looloo
www.looloolibrary.com

ففى استرخائه، كانت هناك أمور أخرى تدور فى عقله...

أو فى عقل من احتل عقله وكيانه...

كان يشعر أخيراً بالحرية، بعد خمسة آلاف عام، قضاها فى ذلك التابوت النحاسى، المختوم بلعنة تبقيه حياً، فى جسد شبه ميت...

اليوم فقط أتى من حقّق كل الشروط، الواجبة لزوال اللعنة...

الظلام الدامس...

الصراخ...

الرعب...

والبكاء...

وهكذا انفكّت اللعنة، وتحرّرت طاقته، واستبدل كيانه غير المادى بكيان (حامد)، الذى من حسن حظه، يتمتع بشهرة واحترام بالغين فى المجتمع...

وعندما يفحصون تلك المقبرة، ويتساءلون عن سر التابوت النحاسى، لن يتصوّر أحدهم أنه فى تلك المومياء الميتة داخلها، كيان يصرخ بكل الرعب، وهو لا يدرى متى يمكن أن يتحرّر...

كيان كائن أرضى، كان يوماً اسمه (حامد عزت)...

النجم الشهير...

جداً.

* * *

الأخير...

يالها من ليلة طويلة!!..

عندما استيقظ فى الصباح، بدا له وكأنه نام دهراً...

على عكس ما يشعر به المستيقظ فى المعتاد...

فمهما كانت ساعات النوم، يشعر أى أنسان عادى، عندما يستيقظ، أنه قد قطع رحلة عبر الزمن...

أغلق عينيه فى الليل، وفتحهما فى النهار...

فقط ...

ولكنه هو لا يشعر بهذا...

لقد عاش مئات الأحداث، خلال فترة نومه...

والعجيب أنه يذكرها كلها...

وهذا لم يحدث له من قبل قط ...

دوماً كان يستيقظ، وهو لا يذكر حتى أنه قد حلم...

فما المختلف هذا الصباح؟!...

تطلّع إلى ما حوله، وكأنه يتصوّر أنه لم يستيقظ بعد...

ولكن كل شئ بدا على ما هو عليه...

حتى أدق التفاصيل...

ولكنه، ولسبب ما، يشعر وكأنه قد انتهى من سباق عدو طويل...

وبدلاً من أن يشعره النوم بالراحة، يشعر جسده كله بالتعب...

حتى الخروج من الفراش بدا له أمراً مرهقاً...

استرخى أو حاول فى فراشه، وشبك كفيه خلف رأسه، وهو يتأمل حجرته مرة أخرى...

Looloo
www.looloolibrary.com

إنها نفس الحجرة، التى عاش فيها، فى السنوات العشر الأخيرة...

نفس الحجرة، التى استذكر فيها دروسه، حتى صار معيداً بكلية العلوم...

الحجرة التى أنهى فيها دراسة الماجستير، حول علم الفلك...

إنها حتى نفس الحجرة، التى شهدت ساعات حبة، عبر المحادثات الطويلة على مواقع التواصل الاجتماعى...

ابتسم، عندما تذكّر تلك المحادثات...

محادثاته الطويلة مع (فداء)...

خلال سنوات دراسته كلها، لم يجد وقتاً للتعامل مع الجنس الآخر...

ربما لأنه انشغل بدراسته...

أو أنه لم يجد من تناسبه...

فعقليته علمية إلى حد مدهش...

وأساتذته دوماً يرون أنه عبقرى...

وبالذات فى علم الفلك والفضاء...

أحد أكبر أساتذته، والمشرف على رسالته، لنيل شهادة الدكتوراة، انبهر بما قرأه فى رسالته، وأخبره أنه ربما ينال عنها جائزة (نوبل) فى العلوم، لو تم نشرها عالمياً؛ لأنها ستكسر الكثير مما يعتقد علماء الفلك والفضاء أنه من المسلمات العلمية...

وكم أسعده هذا القول...

أو هذا الإطراء...

وكم أسعده أكثر، أن (فداء) أبدت اهتماماً بالرسالة...

وبنظريته الجديدة...

لقد أمضى ساعات يشرح لها نظريته، وهو يطير سعادة؛ لأنه عثر أخيراً على الحبيبة التى تناسبه...

جميلة...

ذكية...

مثقفة...

وشديدة الجاذبية...

كانا يتحدثان عبر اتصال فيديو مباشر، ويخفق قلبه مع ابتسامتها...

وضحكاتها...

وحتى أسئلتها العلمية...

أدار عينيه إلى جهاز الكمبيوتر، وهو يشعر بشوق شديد لمحادثتها...

ولكن كم تبلغ الساعة الآن...

ألقى نظرة على المنبه الرقمى المجاور لفراشه، واطمئن عندما وجد أرقامه تشير إلى التاسعة صباحاً...

هذا لأنه يعلم أن (فداء) على عكسه، تستيقظ مبكراً...

وربما مبكراً جداً...

أسعدته فكرة التحدث معها، ودفعت إلى جسده الكثير من النشاط، فنهض من فراشه، ونفض عن نفسه الكسل والإرهاق؛ ليجلس أمام جهاز الكمبيوتر، ويضغط أزراره فى حماس...

وفى سرعة لم يعتدها، أضيئت شاشة الكمبيوتر، وظهر عليها وجه (فداء)، وكأنها كانت تنتظر اتصاله، وهى تبتسم ابتسامتها العذبة، قائلة فى رقة تذيب قلبه دوماً:

- صباح الخير يا (حسن).

هتف من كل قلبه:

- صباح الخير يا نور قلبى.

ابتسمت فى حياء، وهى تسأله:

- هل نمت جيداً؟!...

Looloo
www.looloolibrary.com

كان يريد اختصار الوقت، فى إجابة بسيطة بنعم، إلا أنه لم يشأ الكذب، فأجاب، وهو يضع على شفتيه ابتسامة؛ لتهدئة الموقف:

- بل كان نومى مرهقاً.

سألته فى قلق:

- حقاً؟!

هزّ كتفيه، مجيباً:

- لست أدرى لماذا، ولكننى وكأننى نمت لألف عام.

تراجعت فى قلق حقيقى، وهى تغمغم فى تفكير:

- لألف عام؟!

أشار بيده، قائلاً:

- إنه مجرَّد مبالغة لفظية.

بدت له نظرتها أقرب إلى الفضول العلمى، وهى تكرِّر غمغمتها:

- ألف عام؟!...

تنهَّد قائلاً:

- هل يمكننا تجاوز هذه النقطة؟!

ابتسمت ابتسامة باهتة، وسألته، دون أن تتجاوز الامر:

- ولماذا تشعر بأنك قد نمت ألف عام؟!

شعر بالضيق، وهو يقول:

- ألن نتجاوز هذا؟!

عادت إلى ابتسامتها العذبة، وهى تجيب فى مرح:

- ولكنك مسست موضوع دراستى.

الحديث عن العلم جعله يسألها فى فضول:

- وما موضوع دراستك؟!

أجابته فى سرعة:

- النوم.

ارتفع حاجباه فى دهشة، وهتف فى اهتمام:

- ياله من موضوع!!

أشارت بيدها، قائلة:

- النوم حالة فريدة، من الحالات التى يمر بها البشر، ولها العديد من الصور المدهشة، على كوكب الأرض.

غلبه الأسلوب العلمى، فقال مؤيِّداً:

- هذا صحيح.... فالبشر ينامون كل ليلة فى المعتاد، ولكن الدببة تنام طوال سبات شتوى طويل، والـ...

قاطعته فى اهتمام:

- لم تخبرنى لماذا؟!

استعاد سؤالها الأول، وعلى الرغم من ضيقه من مقاطعتها له، إلا أنه أجابها:

- لست أدرى بالتحديد، ولكننى شعرت وكأن عقلى يستعيد كل ما علمته أو عرفته أو تعلَّمته طيلة عمرى.

سألته فى اهتمام:

- وشعرت بهذا بالفعل؟!

أطلق ضحكة قصيرة، وهو يقول:

- شعور عجيب، لم أشعر بمثله قط.

مالت نحو الشاشة، تسأله فى اهتمام أكبر:

- هل يمكنك أن تصفه لى... علمياً؟!

بدا عليه مزيج من الدهشة والحيرة، وهو يغمغم:

- ألهذا أيضاً علاقة بدراساتك حول النوم؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

صمتت لحظة، ثم تراجعت مغمغمة:

- بالتأكيد...

على الرغم من اهتماماته العلمية، لم يرق له الحديث حول دراسات النوم هذه، فقال: محاولاً إدارة دفة الحديث بعيداً:

- مازلت أذكر كيف كان لقاؤنا أمس.

غمغمت، وضحكة باهتة تحاول الظهور على شفتيها:

- أمس؟!

حاول بدوره أن يضحك، وهو يقول:

- نعم... أمس.... عندما شرحت لك، كيف إن نظريتي ستبرهن فكرة الفضاء المنطوي، بحيث تستطيع سفن الفضاء الأرضية أن تبلغ النجوم، التي تبعد عنا ملايين السنين الضوئية، خلال أشهر قليلة...

بدت شاردة، وهي تغمغم:

- نعم...

أدهشه شرودها هذا، فتابع، منتزعاً ضحكة من أعماقه:

- هل تعلمين ماذا حدث، بعد أن أنهينا حديثنا؟!

غمغمت بنفس الشرود:

- ماذا؟!

قال متصنعاً المرح:

- أويت إلى الفراش، وفردت ذراعيَّ عن آخرهما، فارتطمت يدي بذلك المنبه الرقمي، المجاور لفراشي، فسقط وتحطَّم، و...

بتر عبارته دفعة واحدة، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يلتفت محدِّقاً في ذلك المنبه الرقمي، المستقر إلى جوار فراشه، وتعتم بكل اضطراب الدنيا:

- ولكن كيف؟!

مع تساؤله، أضيئت حجرته كلها دفعة واحدة، وبدا له أن الجدار المواجه له ينشق، كاشفاً ما بدا أنه قاعة بيضاء هائلة من خلفه...

وشهق هو في ذعر وذهول، عندما رأى (فداء) تقف خلف الجدار الذي انشق، وهي تغمغم في أسف:

- كنا نتمنى ألا تلاحظ هذا.

تراجع حتى التصق بمنضدة الكمبيوتر، وهو يغمغم بكل ذعره وذهوله:

- كنتم؟!... ومن أنتم؟!..

بدت رقيقة مشفقة، وهي تجيب:

- نحن قوم، نحيا في واحد من تلك المجموعات النجمية، التي تبعد عن الأرض ستمائة سنة ضوئية تقريباً.

فغر فاه ذهولاً، ولكنها تابعت مشفقة:

- كنا نراقب أرضك منذ آلاف السنين من زمنكم، وندرس إمكانيات الاتصال، بين حضارتنا وحضارتكم... إلا أن حضارتكم بدت لنا وحشية، بكل ما تبتكره من وسائل الدمار الشامل، وكل ما يشتعل فيها من حروب وصراعات وتطرُّفات عرقية وعقائدية.

بدأ يلهث، وكأنه يعدو بكل قوته، وهي تواصل:

- وعندما قررنا عدم الاتصال بحضارتكم، حفاظاً على حضارتنا، توَّصلت أنت إلى إثبات نظرية الفضاء المنطوي، مما هدَّد بوصول حضارتكم إلينا.

غمغم في ذعر:

- هل اختطفتمونى لقتلي؟!

تطلَّعت إليه في إشفاق واضح، قبل أن تجيب:

- بل أحضرنا (حسن) إلى هنا؛ لحماية حضارتنا.

غمغم في اضطراب عصبي:

Looloo
www.looloolibrary.com

- (حسن)... لماذا تستخدمين اسمى، بدلاً من الإشارة إلىَّ مباشرة؟!

صمتت لحظات، ثم أجابت:

- لأنك لست (حسن).

اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدِّق فيها بكل ذهول الدنيا، فخفضت عينيها، وهى تقول:

- وأنا لست (فداء)، التى عرفها (حسن).

اختنقت الكلمات فى حلقه لحظات، قبل أن يهتف فى عصبية:

- أنت كاذبة.

قالت فى أسى:

- ليتنى كنت كذلك... ولكن كلانا لسنا سوى نسخ من أصولنا.

غمغم فى ذعر ذاهل:

- أصولنا؟!

مالت برأسها نحوه، قائلة فى إشفاق:

- كلانا النسخة السابعة والثلاثين، من (حسن) و(فداء)...

صرخ فى انهيار مكرراً:

- أنت كاذبة.

تابعت، وكأنها لم تسمعه:

- لهذا شعرت أنك نمت ألف عام... لأن الخلايا الأساسية، التى تم استنساخك منها، عمرها ألف عام.

اتسعت عيناه فى رعب شديد، دون أن ينبس ببنت شفة، وهى تواصل مشفقة:

- ولهذا شعرت بكل العلوم، المختزنة فى الخلايا الأساسية، تنساب إلى عقلك.

ثم أشارت بيدها إلى ما حولها، مكملة:

- هذه الحجرة صنعناها نسخة طبق الأصل من حجرتك... والعجيب أنك أوَّل نسخة، تنتبه إلى ذلك المنبه الرقمى.

غمغم فى انهيار:

- نسخة.

ثم تساءل، فى صوت باك:

- ولماذا تحتفظون بى؟!... لماذا لم ينته الأمر بموت أصلى؟!

أجابته فى اهتمام:

- لأنك الأخير.

رفع عينيه إليها، مغمغماً:

- الأخير فى ماذا؟!

قالت بكل الإشفاق:

- ما توقعناه صار حقيقة، منذ ألف عام أرضى... الحرب العالمية الثالثة اندلعت، وتسبَّبت فى تدمير الأرض، وفناء كل كائن حى عليها.

ثم أشارت إليه، مضيفة:

- وبقيت أنت... آخر البشر.

شعر بمسئولية هائلة تلقى على عاتقه، وهو ينهار جالساً على مقعد الكمبيوتر...

لم يعد لكل ما درسه فائدة للبشر...

هذا لأنه لم يعد هناك بشر...

ولأنه الأخير...

آخر البشر...

جميعهم.

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفهرس

مجنون..... 5
حلم..... 13
دبيب..... 21
ومن الحب..... 29
أمل..... 37
عين..... 45
المسخوط..... 53
بيت الميلة..... 63
قلب حبيبى..... 71
أشباح..... 80
بالسيف..... 88
جن..... 96
فى القبر..... 104
الوشم..... 113
القاتل..... 121
مركب صيد..... 129
الظلام..... 138
السفاح..... 147
أراكنوفوبيا..... 156
البعثة..... 164
الشيخ جاد..... 173
السجين..... 181
مصيف الأحلام..... 190
استجواب..... 199
اللعنة!..... 207
الأخير..... 215

Looloo
Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٣.١١ ١٩:٣٤:١٤ +٠٢'٠٠'

السِّتار الأَسْوَد

الكتاب الثالث

في عالمنا نحيا ونموت... نرى ويرانا الآخرون...
نسمعهم ويسمعوننا... نكلمهم ويكلموننا...
وكل هذا في عالمنا... وحده...
ولكن هناك حولنا عالم آخر ....
يرانا ولا نراه... يسمعنا ولا نسمعه.... يكلمنا
ولا نكلمه...
عالم مظلم رهيب مخيف...
عالم يختفي هناك...
خلف الستار الأسود

د. نبيل فاروق

ALEF Bookstores
الستار الأسود - الكتاب الثالث
218980218981660
LE 30.0
Paperback
قصص قصيرة

ستار